

القصص العالمية
الأولاد والقطار
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



**إدِثْ نَسْبِت ١٨٥٨ – ١٩٢٤**

روائيَّةٌ إنْكليزيَّةٌ اتَّصفَتْ ، طَوالَ حياتِها ، بالحَماسَةِ والانْدِفاعِ والكَرَمِ . وُلِدَتْ في لَنْدَن ، وقَضَتْ سَنَواتٍ من طُفولَتِها في فَرَنْسا وأَلْمانيا حَيْثُ تَلَقَّتْ جانبًا من تَعْليمِها . اِشْتَهَرَتْ بِكُتُبِها الَّتي كانَ أَبْطالُها مِنَ الأَوْلادِ . وبَدَأَ اسْمُها يَلْمَعُ في هٰذا المَيْدانِ عِنْدَما نَشَرَتْ في العام ١٨٩٩ كِتابَها «قِصَّةُ الباحِثينَ عَنِ الكَنْزِ» .

اِمْتازَتْ بِقُدْرَتِها الفائِقَةِ على تَصْويرِ الحَياةِ العائِليَّةِ تَصْويرًا نابِضًا بالحَياةِ ، وبإيثارِها إبداعَ الشَّخْصِيّاتِ على وَضْعِ الحَبَكاتِ .

أَصْدَرَتْ كِتابَها ، الَّذي نُقَدِّمُهُ اليَوْمَ إلى القارِئِ العَرَبِيِّ ، في العامِ ١٩٠٦ . وفي الكِتابِ بُطولاتٌ نابِضَةٌ بِالحَنانِ ، ومُغامَراتٌ مُشَوِّقَةٌ يَزيدُها تَشْويقًا الرُّسومُ المُلَوَّنَةُ الرّائِعَةُ .

**سلسلة «القصص العالميّة»**





# الأَوْلادُ والقِطار


إعداد : الدّكتور ألبير مُطْلَق
عن قصة : إدِث نَسْبِت
رُسوم : كاتي ليفيلد




مكتبة لبنان

# بِدايَةُ الحِكايَةِ

يَحْسُنُ بِنا أَنْ نَبْدَأَ مُوَضِّحينَ أَنَّ الأَوْلادَ الَّذينَ يَرْوي هٰذا الكِتابُ قِصَّتَهُمْ ، لَمْ يَكونوا يَعيشونَ في جِوارِ مَحَطَّةٍ لِلقِطاراتِ . كانوا يَعيشونَ مَعَ والِدَيْهِمْ في إِحْدى ضَواحي لَنْدَن ، ويَسْكُنونَ بَيْتًا مَبْنِيًّا مِنَ الآجُرِّ الأَحْمَرِ ، مُجَهَّزًا بِوَسائِلِ الرّاحَةِ ، ومُزَيَّنًا ، في بَعْضِ أَجْزائِهِ ، بِالزُّجاجِ المُلَوَّنِ . ولَمْ يَكونوا يَرْكَبونَ القِطارَ إِلّا حينَ يَذْهَبونَ إِلى حَديقَةِ الحَيَوانِ أَو مُتْحَفِ الشَّمْعِ .

كانوا ثَلاثَةً . الكُبْرى بابي ، ولَعَلَّها كانَتْ أَحَبَّ الأَوْلادِ إِلى قَلْبِ الأُمِّ . والأَوْسَطُ بيتَر ، وكانَ يُريدُ أَنْ يُصْبِحَ مُهَنْدِسًا . والصُّغْرى فيلِس ، وكانَتْ صادِقَةً طَيِّبَةَ القَلْبِ ، لٰكِنْ تَقَعُ أَحْيانًا في المَتاعِبِ .

كانَتْ أُمُّهُمْ تَحْكي لَهُمُ القِصَصَ ، وتُساعِدُهُمْ في واجِباتِهِمِ المَدْرَسِيَّةِ ، وتَنْظِمُ لَهُمْ في أَعْيادِ ميلادِهِمْ أَشْعارًا مُسَلِّيَةً . وكانَ والِدُهُمْ رَجُلًا رائِعًا ، لا يَغْضَبُ أَبَدًا ، ولا يَظْلِمُ أَحَدًا ، ولا يُرى إِلّا باسِمًا مَرِحًا . وكانَ لِلأَطْفالِ صَديقٌ لَطيفٌ هو كَلْبُهُمُ الوَفِيُّ .

عاشَ الأَوْلادُ في سَعادَةٍ غامِرَةٍ إِلى أَنْ حَدَثَ ، ذاتَ يَوْمٍ ، أَمْرٌ مُريعٌ قَلَبَ حَياتَهُمْ . فَفي إِحْدى اللَّيالي جاءَ رَجُلانِ يَطْلُبانِ الأَبَ ، ومَضَيا بِهِ . بَدا الشُّحوبُ والاضْطِرابُ عَلى وَجْهِ الأُمِّ ، والتَفَتَتْ إِلى أَوْلادِها وسَأَلَتْهُمْ بِصَوْتٍ حَزينٍ أَنْ يَظَلّوا هادِئينَ وأَلّا يَطْرَحوا أَسْئِلَةً .





ظَلَّ الأَوْلادُ هادِئينَ ولَمْ يَطْرَحوا أَسْئِلَةً ، على الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ ذاكَ كانَ شاقًّا عَلَيْهِمْ . وأَدْرَكَتْ بابي أَنَّ خَطْبًا مُفاجِئًا أَلَمَّ بِالأُسْرَةِ أَحْزَنَ أُمَّها ذٰلِكَ الحُزْنَ كُلَّهُ .

وقالَتْ فيلِس : « كُنْتِ تَقولينَ إِنَّ الحَياةَ مُمِلَّةٌ ، لا تَحْدُثُ فيها المُفاجَآتُ الَّتي نَقْرَأُ عَنْها في الكُتُبِ . أُنْظُري الآنَ ما جَرى ! »

أَجابَتْ بابي : « لَمْ أَكُنْ يَوْمًا أَرْغَبُ في مُفاجَأَةٍ تَجْعَلُ أُمّي تَعيسَةً . ما أَصْعَبَ هٰذِهِ الحالَ ! »

ظَلَّ الأَمْرُ على حالِهِ مِنَ الشَّقاءِ أَسابيعَ. ثُمَّ قيلَ لِلأَوْلادِ إِنَّ أَباهُمْ، الَّذي كانَ مُوَظَّفًا في الدَّوْلَةِ، سافَرَ في عَمَلٍ، وقَدْ يَغيبُ طَويلًا. وقالَتِ الأُمُّ: «لا تَخافوا! سَنَكونُ بِخَيْرٍ!» وأَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهُمْ سَيَتْرُكونَ بَيْتَهُمْ لِيَعيشوا في بَيْتٍ ريفِيٍّ صَغيرٍ. ثُمَّ حُزِمَتْ بَعْضُ الأَمْتِعَةِ والحاجاتِ المَنْزِلِيَّةِ في صُرَرٍ وصَناديقَ.

قالَتْ بابي: «لِمَ نَأْخُذُ الأَشْياءَ القَبيحَةَ، يا أُمّي؟»

أَجابَتِ الأُمُّ: «بَلْ نَأْخُذُ الأَشْياءَ المُفيدَةَ. يا صَغيرَتي، سَنَعيشُ، إِلى حينٍ، حَياةَ بَساطَةٍ.»

حُمِلَتِ الأَشْياءُ القَبيحَةُ المُفيدَةُ في عَرَبَةٍ، وانْتَقَلَ الأَوْلادُ بِمَرْكَبَةٍ إِلى مَحَطَّةِ القِطارِ. وكانَتْ رِحْلَةُ القِطارِ طَويلَةً جِدًّا، اسْتَسْلَمَ الأَوْلادُ فيها لِلنَّوْمِ، ولَمْ يَسْتَيْقِظوا إِلّا على صَوْتِ أُمِّهِمْ تَقولُ لَهُمْ: «وَصَلْنا، يا أَحِبّائي.»

وَقَفوا على رَصيفِ مَحَطَّةِ القِطاراتِ، وراحوا يُراقِبونَ الأَضْواءَ الخَلْفِيَّةَ لِعَرَبَةِ الحارِسِ وَهْيَ تَخْتَفي في الظَّلامِ. ولَمْ يَكونوا يَعونَ آنَذاكَ أَنَّ القِطاراتِ سَتَكونُ مَوْضِعَ حُبِّهِمِ الشَّديدِ والمِحْوَرَ الَّذي تَدورُ حَوْلَهُ حَياتُهُمُ الجَديدَةُ.

ثُمَّ أَمْسَكَتِ الأُمُّ والأَوْلادُ بَعْضُهُمْ أَيْدِيَ بَعْضٍ، وانْطَلَقوا في طَريقِهِمْ.



كانَتِ الطَّريقُ إِلى بَيْتِهِمِ الجَديدِ طَويلَةً مُوْحِلَةً. وكانَتْ فيلِس تَتَوَقَّفُ، بَيْنَ الحينِ والحينِ، لِتَشُدَّ رِباطَ الحِذاءِ الَّذي كانَ يَعودُ فَيَنْحَلُّ.





أَوْصَلَتْهُمُ الطَّريقُ الرّيفيَّةُ الوَعْرَةُ إلى بَوّابَةٍ في الحُقولِ. وَراءَ تِلْكَ البَوّابَةِ ارْتَفَعَ مَنْزِلٌ قاتِمٌ كَئيبٌ. قالَتْ أُمُّهُمْ مُشيرَةً إلى المَنْزِلِ: «ذاكَ هُوَ بَيْتُنا!»

كانَ المَنْزِلُ مُعْتِمًا. اِنْحَنى السّائِقُ الَّذي جَلَبَ الأَمْتِعَةَ والْتَقَطَ المِفْتاحَ مِنْ تَحْتِ عَتَبَةِ البابِ. ثُمَّ دَخَلَ إلى المَطْبَخِ وأَضاءَ شَمْعَةً، ودَخَلَتِ الأُمُّ وأَوْلادُها وَراءَهُ. وبَدا المَطْبَخُ قاتِمًا بارِدًا.

كانوا يَسْمَعونَ خَشْخَشَةً وقَرْقَعَةً في الجُدْرانِ. فسَأَلَتِ الفَتاةُ الصَّغيرَةُ مَذْعورَةً: «ما هٰذا؟» أَجابَ سائِقُ العَرَبَةِ، وَهُوَ يَتْرُكُ البَيْتَ: «لا شَيْءَ. لَيْسَتْ سِوى جُرْذانٍ!» وعِنْدَما صَفَقَ البابَ وَراءَهُ هَبَّتْ نَسْمَةُ هَواءٍ أَطْفَأَتِ الشَّمْعَةَ.



تَمْتَمَ بيتَر في العَتَمَةِ: «ويَقولُ، لَيْسَتْ سِوى جُرْذانٍ!»

## مَنْجَمُ الفَحْمِ!

قالَتِ الأُمُّ: «لَطالَما بَحَثْنا عَنِ اللَّهْوِ والإِثارَةِ. وها قَدْ تَحَقَّقَ ما تَمَنَّيْناهُ. فَلْتَكُنْ هٰذِهِ مُغامَرَتَنا!»

كانَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَتْرُكَ لَهُمْ بَعْضُ الجيرانِ طَعامًا لِلعَشاءِ. لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا شَيْئًا، فنَزَلَتِ الأُمُّ إلى القَبْوِ، حَيْثُ كانَتْ أَمْتِعَتُهُمْ، وخَلَعَتْ أَحَدَ الصَّناديقِ، وأَخْرَجَتْ مِنْهُ مَرْطَباناتٍ ومُعَلَّباتٍ حَمَلوها مَعَهُمْ مِنَ البَيْتِ السّابِقِ. وكانوا كُلُّهُمْ مُتْعَبينَ وجائِعينَ، فأَسْعَدَهُمْ أَنْ يَجِدوا تِلْكَ الوَجْبَةَ السَّريعَةَ البارِدَةَ. أَكَلوا السَّرْدينَ والمُرَبّى والخُبْزَ المُحَمَّصَ، وأَحَسّوا أَنَّهُمْ في نُزْهَةٍ خَلَوِيَّةٍ فَشَعَروا بِالطُّمَأْنينَةِ والرِّضى.

ثُمَّ اشْتَرَكوا جَميعًا في إِعْدادِ الأَسِرَّةِ، وذَهَبوا إلى فِراشِهِمْ راضينَ. واتَّفَقَ أَنِ اسْتَيْقَظَتْ بابي لَيْلًا، فأَحَسَّتْ أَنَّ أُمَّها كانَتْ لا تَزالُ ساهِرَةً تَحومُ في غُرْفَتِها.

اِسْتَيْقَظَ الأَوْلادُ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي باكِرًا، ونَزَلوا بِهُدوءٍ شَديدٍ إلى المَطْبَخِ لِيُعِدّوا طَعامَ الفُطورِ. وكانوا يَأْمُلونَ أَنْ تَجِدَ أُمُّهُمُ الطَّعامَ جاهِزًا عِنْدَما تَسْتَيْقِظُ.

لَمْ يَكُنْ في الحَمّامِ ماءٌ ، فاجْتَمَعَ الأَوْلادُ عِنْدَ مِضَخَّةٍ في ساحَةِ المَنْزِلِ واغْتَسَلوا. قالَتْ بابي : «الاِغْتِسالُ هُنا أَمْتَعُ مِنَ الاِغْتِسالِ في حَوْضِ الحَمّامِ. ما أَجْمَلَ هٰذِهِ الأَعْشابَ البَرّاقَةَ النّابِتَةَ بَيْنَ الحِجارَةِ !» ثُمَّ أَشْعَلَ الأَوْلادُ المَوْقِدَ ، ووَضَعوا فَوْقَهُ إِبْريقَ ماءٍ ، وأَعَدّوا طاوِلَةَ الطَّعامِ ، وخَرَجوا يَسْتَكْشِفونَ.





كانَ المَنْزِلُ قائِمًا عَلى تَلَّةٍ ، وَسَطَ حَقْلٍ واسِعٍ. وَقَفَ الأَوْلادُ يَنْظُرونَ ، فرَأَوْا في أَسْفَلِ التَّلَّةِ سِكَّةَ حَديدٍ ونَفَقًا أَسْوَدَ مُتَثائِبًا. ورَأَوْا في طَرَفِ الوادي جِسْرًا كَبيرًا ذا قَناطِرَ عالِيَةٍ.

جَلَسوا جَميعًا على حَجَرٍ مُنْبَسِطٍ كَبيرٍ يَنْتَظِرونَ مُرورَ القِطارِ. ووَجَدَتْهُمْ أُمُّهُمْ ، في الثّامِنَةِ صَباحًا ، يَنامونَ في دِفْءِ الشَّمْسِ نَوْمًا عَميقًا هانِئًا.

وكانَتِ النّارُ ، في تِلْكَ الأَثْناءِ ، قَدِ انْطَفَأَتْ ، واحْتَرَقَ قاعُ الإِبْريقِ. فأَكَلوا خُبْزًا مُحَمَّصًا وزُبْدَةً وجُبْنًا ولَحْمًا مُبَرَّدًا ، وَهِيَ أَيْضًا مِمّا حَمَلوهُ مَعَهُمْ مِنْ بَيْتِهِمِ السّابِقِ.

أَنْهَوْا بَعْدَ الظُّهْرِ فَكَّ الصُّرَرِ والصَّناديقِ وتَرْتيبَ الأَمْتِعَةِ ، فأَخْلَدَتِ الأُمُّ إِلى غُرْفَتِها تَسْتَريحُ. وانْطَلَقَ الأَوْلادُ إِلى سِكَّةِ الحَديدِ.





اِنْزَلَقوا فَوْقَ المُنْحَدَرِ المَرْجِيِّ النّاعِمِ ، بَيْنَ جَنَباتِ الوَزّالِ والصُّخورِ الصَّفْراءِ. وانْتَهَتْ طَريقُهُمْ بِمُنْحَدَرٍ شَديدٍ وسِياجٍ خَشَبِيٍّ. هُناكَ كانَتْ سِكَّةُ الحَديدِ بِقُضْبانِها البَرّاقَةِ ، وخُطوطُ التِّلِغْرافِ ، والأَعْمِدَةُ واللّافِتاتُ والإِشاراتُ.

فَجْأَةً ، سَمِعوا صَوْتًا هادِرًا ، ثُمَّ انْدَفَعَ مِنَ النَّفَقِ قِطارٌ راحَ يَزْعَقُ ويَنْفُثُ دُخانًا. مَرَّ بِمُحاذاةِ الأَوْلادِ مُثيرًا هَبَّةَ هَواءٍ قَوِيَّةً ، وراحَتِ الحِجارَةُ بَيْنَ خَطَّيْ سِكَّةِ الحَديدِ تَتَطايَرُ وتُقَرْقِعُ.

قالَتْ بابي : «ما أَعْظَمَهُ ! فَكَأَنَّما هُوَ تِنّينٌ عَظيمٌ يَمُرُّ بِنا خاطِفًا ! »

اِبْتَلَعَ بيتَرْ ريقَهُ ، وقالَ : «اِقْتَرَبْنا كَثيرًا مِنَ القِطارِ ! »

قالَتْ بابي بِصَوْتٍ خَفيضٍ : «تُرى ، أَيَذْهَبُ هٰذا القِطارُ إِلى لَنْدَن؟ فَأَبي هُناكَ ! »

قالَ بيتَر : «نَذْهَبُ إِلى المَحَطَّةِ ونَسْتَفْسِرُ. »

مَشَوْا عَلى خَطِّ سِكَّةِ الحَديدِ ، حَتّى وَصَلوا إِلى طَرَفِ المَحَطَّةِ. واخْتَلَسوا النَّظَرَ إِلى غُرْفَةِ العامِلِ ، فَرَأَوْهُ يَقْرَأُ صَحيفَةً ، وَهُوَ شِبْهُ نائِمٍ.

كانَ في المَحَطَّةِ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ نِقاطِ التَّحْويلِ والخُطوطِ الفَرْعِيَّةِ. ورَأى الأَوْلادُ في جانِبٍ مِنَ المَحَطَّةِ كَوْمَةً كَبيرَةً مِنَ الفَحْمِ الحَجَرِيِّ المُتَراصِّ، يُزَنِّرُها مِنْ أَعْلاها خَطٌّ أَبْيَضُ. خَرَجَ عامِلُ المَحَطَّةِ إلى الأَوْلادِ، وذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الخَطَّ الأَبْيَضَ يُبَيِّنُ كَمِّيَّةَ الفَحْمِ. فإذا حَدَثَ أَنْ أَخَذَ أَحَدٌ فَحْمًا انْكَشَفَ الأَمْرُ. وقالَ مُوَجِّهًا كَلامَهُ لِبيتَر: «إيّاكَ لِذٰلِكَ أَنْ تَدُسَّ فَحْمَةً في جَيْبِكَ!»



سُرْعانَ ما تَعَوَّدَ الأَوْلادُ حَياةَ الرِّيفِ، ووَجَدوا أَشْياءَ مُمْتِعَةً كَثيرَةً. أَحَبّوا القَنالَ والأَحْصِنَةَ المُسِنَّةَ البَطيئَةَ الَّتي تَجُرُّ قَوارِبَ



البَضائِعِ. وأَحَبّوا القَناطِرَ الَّتي تَنْقُلُ المِياهَ عَبْرَ الوادي والَّتي كانوا قَدْ رَأَوْا مَثيلًا لَها في رُسومِ كُتُبِ التّاريخِ القَديمِ. وأَحَبّوا، فَوْقَ ذٰلِكَ كُلِّهِ، سِكَّةَ الحَديدِ.

بَدَتْ لَهُمْ حَياتُهُمُ السّابِقَةُ حُلْمًا. وتَعَوَّدوا العَيْشَ دونَ أَبيهِمْ. لَمْ يَنْسَوْهُ، لٰكِنْ تَعَوَّدوا العَيْشَ دونَهُ. وكانَتْ أُمُّهُمْ تَقْضي سَحابَةَ أَيّامِها في كِتابَةِ قِصَصٍ تُرْسِلُها إلى الصُّحُفِ. وكَثيرًا ما كانَتْ تِلْكَ القِصَصُ تَعودُ إِلَيْها. لٰكِنْ يَحْدُثُ أَنْ تَنْشُرَ صَحيفَةٌ قِصَّةً مِنْها، فَيَتَوافَرُ لِلأُسْرَةِ عِنْدَئِذٍ ما يُمَكِّنُها مِنْ عَشاءٍ مُمَيَّزٍ.

كانَتْ أُمُّهُمْ تُذَكِّرُهُمْ بَيْنَ الحينِ والحينِ أَنَّهُمْ باتوا فُقَراءَ. وحَدَثَ في أَحَدِ الأَيّامِ البارِدَةِ أَنْ طَلَبوا فَحْمًا يَسْتَدْفِئونَ بِهِ، فقالَتْ: «الفَحْمُ غالي الثَّمَنِ! اُرْكُضوا وامْرَحوا فَتَدْفَأوا!»

أَوْحى ذٰلِكَ لِبيتَر بِفِكْرَةٍ. لٰكِنَّهُ لَمْ يُفْصِحْ عَمّا بِنَفْسِهِ وقالَ لِأُخْتَيْهِ: «لَعَلَّ ما أُفَكِّرُ فيهِ ضارٌّ، فَلَنْ أُشْرِكَكُما مَعي. تِلْكَ مُغامَرَتي أَنا، لٰكِنْ إِنْ سَأَلَتْ عَنّي أُمّي قولا إِنّي أَلْعَبُ عِنْدَ المَنْجَمِ.»

«أَيُّ مَنْجَمٍ؟»

«مَنْجَمُ الفَحْمِ! وإيّاكُما أَنْ تَذْكُرا شَيْئًا لِأَحَدٍ!»

بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ طَلَبَ بيتر مِن أُخْتَيْهِ أَنْ تَأْتِيا بِعَرَبَةِ الأَطْفالِ العَتيقَةِ الَّتي كانَتْ في قَبْوِ المَنْزِلِ. نَزَلَ الأَوْلادُ بِعَرَبَتِهِم المُنْحَدَرَ، ومَشَوْا إلى مَكانٍ قَريبٍ مِنَ المَحَطَّةِ. وهُناكَ في حُفْرَةٍ مُغَطّاةٍ بِنَباتاتِ الخَلَنْجِ والسَّرْخَسِ، أَرى بيتر أُخْتَيْهِ كَوْمَةً مِنَ الفَحْمِ. وقالَ:

«هٰذا الفَحْمُ مِنْ مَنْجَمِ الأَخِ بيتر!» مَلأَ الأَوْلادُ العَرَبَةَ بِالفَحْمِ وجَرّوها إلى البَيْتِ. ولاحَظَتِ الأُمُّ أَنَّ مَخْزونَهُمُ القَليلَ مِنَ الفَحْمِ لَمْ يَنْقُصْ في ذٰلِكَ الأُسْبوعِ كَثيرًا!

لٰكِنْ حَدَثَ في إِحْدى اللَّيالي أَنْ أَمْسَكَ ناظِرُ المَحَطَّةِ بيتر وَهُوَ فَوْقَ كَوْمَةِ الفَحْمِ الَّتي يُزَنِّرُها الخَطُّ الأَبْيَضُ. قالَ بيتر مُنْفَعِلًا: «أَنا لَسْتُ لِصًّا. أَنا عامِلُ مَنْجَمٍ!» وكانَتْ بابي وفيلس مُخْتَبِئَتَيْنِ خَلْفَ شاحِنَةٍ، فَتَقَدَّمَتا بِشَجاعَةٍ ووَقَفَتا إلى جانِبِ أَخيهِما.

هَتَفَ النّاظِرُ: «أَرى أَنَّكُمْ عِصابَةٌ! الأَوْلادُ الَّذينَ يَسْكُنونَ المَنْزِلَ العالِيَ! أَلا تَعْلَمونَ أَنَّ السَّرِقَةَ حَرامٌ؟ ما الَّذي دَفَعَكُمْ إلى ذٰلِكَ؟»

ذَكَرَ بيتر أَنَّهُمْ فُقَراءُ لا يَقْدِرونَ عَلى شِراءِ فَحْمٍ يَسْتَدْفِئونَ بِهِ، وأَنَّهُ رَأى، لِذٰلِكَ، أَنَّ أَخْذَ شَيْءٍ مِنَ الفَحْمِ مِنْ قَلْبِ الكَوْمَةِ الكَبيرَةِ لَيْسَ ذَنْبًا – إِنَّهُ أَشْبَهُ بِاسْتِخْراجِ الفَحْمِ مِنْ مَنْجَمٍ!

وَعَدَ ناظِرُ المَحَطَّةِ الرَّؤوفُ بِغَضِّ النَّظَرِ هٰذِهِ المَرَّةَ. وقالَ:





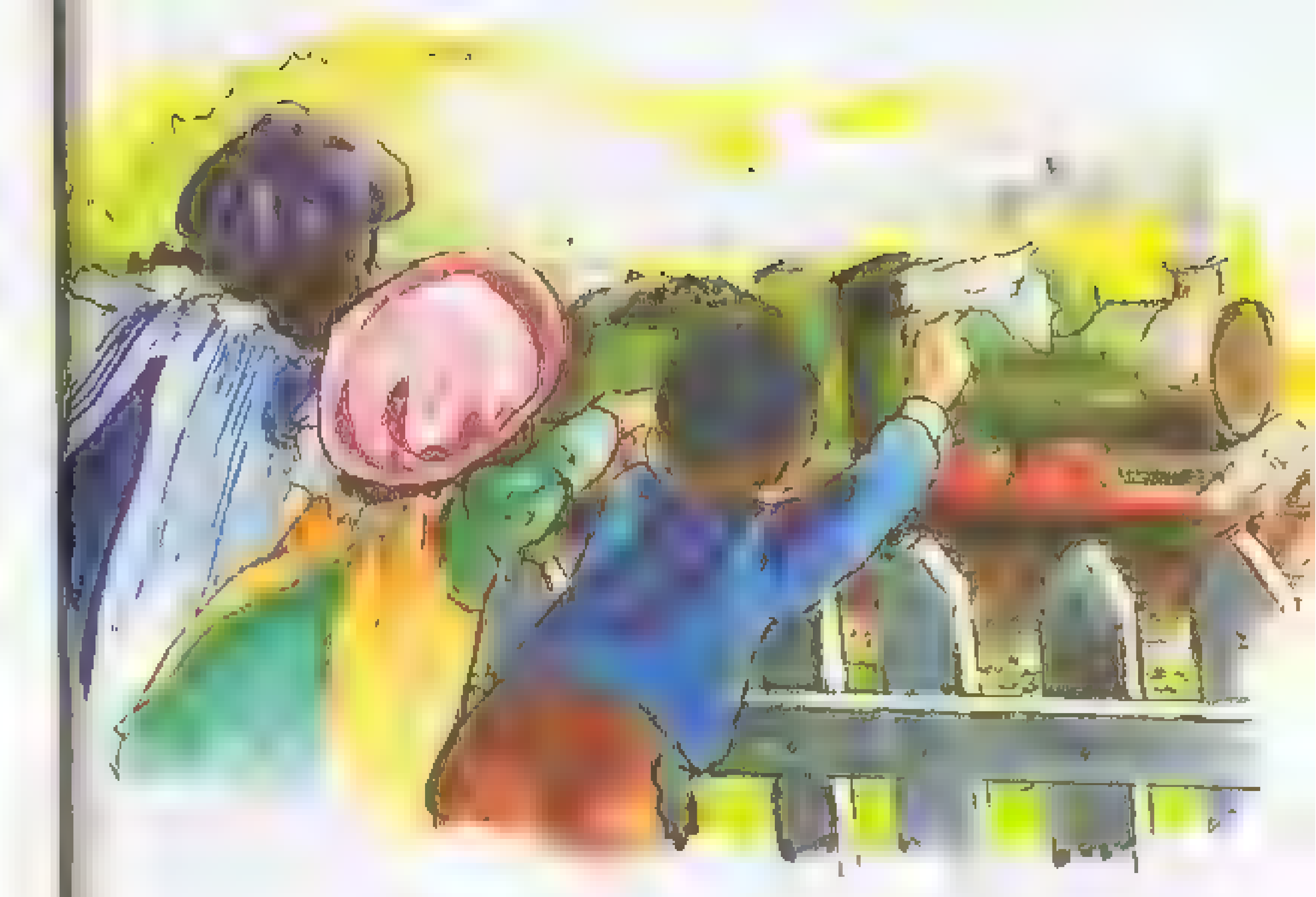
«لٰكِنْ تَذَكَّرْ أَنَّ السَّرِقَةَ سَرِقَةٌ، حَتّى لَوْ دَعَوْتَها اسْتِخْراجًا مِنْ مَنْجَمٍ! أُرْكُضْ إلى البَيْتِ!»

قالَ بيتر: «أَنْتَ لَطيفٌ!»

وقالَتْ بابي: «أَنْتَ شَريفٌ!»

وقالَتْ فيلس: «أَنْتَ مَحْبوبٌ!»

اِبْتَسَمَ النّاظِرُ، ورَفَعَ يَدَهُ مُوَدِّعًا.



## السَّيِّدُ العَجوزُ

لَمْ يَكُنِ الأَوْلادُ يَقْدِرونَ عَلى الابْتِعادِ عَنْ سِكَّةِ الحَديدِ. في الرِّيفِ المُتَكاسِلِ لَمْ يَكُنْ يَجوبُ البِطاحَ إلّا القِطاراتُ. أَحَبَّ الأَوْلادُ تِلْكَ القِطاراتِ وأَعْطَوْها أَسْماءً. فَقِطارُ السّاعَةِ التّاسِعَةِ اسْمُهُ عِنْدَهُمُ التِّنّينُ الأَخْضَرُ، وقِطارُ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ السَّريعُ اسْمُهُ طائِرُ اللَّيْلِ.

سُرْعانَ ما صارَ عِنْدَهُمْ صَديقٌ، وكانَ سَيِّدًا عَجوزًا باسِمَ الوَجْهِ يُسافِرُ كُلَّ صَباحٍ في قِطارِ السّاعَةِ التّاسِعَةِ. كانَ الأَوْلادُ يَقِفونَ وَراءَ السِّياجِ الخَشَبِيِّ، يَنْتَظِرونَ التِّنّينَ الأَخْضَرَ لِيَشُقَّ الظَّلامَ خارِجًا مِنْ



بَطْنِ النَّفَقِ. وكانَ العَجوزُ، حينَ يَراهُمْ، يُلَوِّحُ لَهُمْ بِجَريدَتِهِ مُحَيِّيًا. فَيَرُدّونَ تَحِيَّتَهُ مُلَوِّحينَ بِمَناديلِهِمْ، وقَدْ طابَ لَهُمْ أَنْ يَتَخَيَّلوا أَنَّ العَجوزَ يَعْرِفُ أَباهُمْ في لَنْدَن، وأَنَّهُ قَدْ يَنْقُلُ إِلَيْهِ حُبَّهُمْ.

ذاتَ يَوْمٍ أَخْبَرَ الأَوْلادُ ناظِرَ المَحَطَّةِ أَنَّ أُمَّهُمْ باعَتْ قِصَّةً مِنْ قَصَصِها. فَأَسْعَدَهُ أَنْ يَراهُمْ فَخورينَ بِأُمِّهِم النَّشيطَةِ الذَّكِيَّةِ، ودَعاهُمْ إِلى زِيارَةِ مَحَطَّةِ القِطاراتِ كُلَّما أَرادوا ذٰلِكَ. سَرَّتْهُمْ دَعْوَتُهُ كَثيرًا، وعَرَفوا أَنَّهُ سامَحَهُمْ عَلى الذَّنْبِ الَّذي اقْتَرَفوهُ.

رَوى لَهُمْ عامِلُ المَحَطَّةِ، واسْمُهُ بيرْكْز، حِكاياتٍ كَثيرَةً مُدْهِشَةً عَنِ القِطاراتِ. وذَكَرَ لَهُمْ أَنَّهُ لا يَجوزُ عَلى راكِبِ القِطارِ أَنْ يَشُدَّ حَبْلَ التَّوَقُّفِ الطّارِئِ، إلّا إذا كانَ يَتَعَرَّضُ لِمُحاوَلَةِ قَتْلٍ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هٰذا القَبيلِ. وقَدْ حَدَثَ أَنَّ سَيِّدَةً عَجوزًا شَدَّتْ يَوْمًا حَبْلَ التَّوَقُّفِ ظَنًّا مِنْها أَنَّهُ جَرَسُ خِدْمَةِ الطَّعامِ. ولَمّا جاءَها الحارِسُ عَلى عَجَلٍ طَلَبَتْ مِنْهُ رَغيفَ خُبْزٍ.

* * *

مَرِضَتِ الأُمُّ يَوْمًا، فاسْتَدْعى بيتَر طَبيبَ القَرْيَةِ. قالَ الطَّبيبُ إِنَّ الأُمَّ مُصابَةٌ بِالإِنْفْلُوَنْزا ووَصَفَ لَها دَواءً. لٰكِنَّهُ قالَ أَيْضًا إِنَّها بِحاجَةٍ إِلى غِذاءٍ كافٍ. وذَكَرَ أَنْواعًا مِنَ الطَّعامِ غالِيَةَ الثَّمَنِ. فَأَحَسَّ الأَوْلادُ بِقَلَقٍ شَديدٍ.

قالَتْ بابي : «عَلَيْنا أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ! فَلْنفكِّرْ ! » أخيرًا خَطَرَتْ لَهُمْ فِكْرَةٌ . جاؤوا بِرُقْعَةِ قُماشٍ بَيْضاءَ ، وكَتَبوا عَلَيْها بِحُروفٍ كَبيرَةٍ العِبارَةَ الآتِيَةَ : «اِنْتَظِرْنا في المَحَطَّةِ .»

رَكَّزوا اللافِتَةَ عَلى السِّياجِ الخَشَبِيِّ ، ووَقَفَ بيتر يُشيرُ إِلَيْها بِيَدِهِ . وحَمَلَتْ فيلِس رِسالَةً إلى السَّيِّدِ العَجوزِ ، رَكَضَتْ بِها إلى المَحَطَّةِ . وكادَتْ أَنْ تَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْعِدِ القِطارِ بِسَبَبِ انْحِلالِ رِباطِ حِذائِها .

وَصَفَ الأَوْلادُ في الرِّسالَةِ حالَ أُمِّهِمْ ، وما تَحْتاجُ إِلَيْهِ . ووَعَدوا أَنْ يُسَدِّدوا ، حينَ يَكْبَرونَ ، ما يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمْ . قَرَأَ العَجوزُ الرِّسالَةَ ، فابْتَسَمَ ، ووَضَعَها في جَيْبِهِ . ثُمَّ تابَعَ قِراءَةَ جَريدَتِهِ .

في ذلِكَ المَساءِ زارَهُمْ عامِلُ المَحَطَّةِ بيركز . وقَدْ حَمَلَ سَلَّةً كَبيرَةً . وكانَ في السَّلَّةِ كُلُّ ما طَلَبوهُ ، وأَنْواعٌ أُخْرى مِنَ الطَّعامِ والعَصيرِ لَمْ يَطْلُبوها ، بَلْ وكانَ فيها أَيْضًا باقَةُ زَهْرٍ وزُجاجَةُ عِطْرٍ .

حَمَلَ العامِلُ مَعَهُ إلى الأَوْلادِ رِسالَةً مِنَ السَّيِّدِ العَجوزِ . جاءَ في الرِّسالَةِ أَنَّهُ يُسْعِدُهُ أَنْ يُساعِدَهُمْ ، وأَنَّهُ يَأْمُلُ أَلَّا تَغْضَبَ أُمُّهُمْ لِأَنَّهُمْ طَلَبوا مِنْهُ العَوْنَ .

بَعْدَ أُسْبوعَيْنِ كَتَبَ الأَوْلادُ لافِتَةً أُخْرى تَحْمِلُ العِبارَةَ الآتِيَةَ : «إِنَّها تَتَعافى – شُكْرًا لَكَ» .



غَضِبَتْ أُمُّهُمْ كَثيرًا أَوَّلَ الأَمْرِ . لكِنَّها كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ أَوْلادَها لَمْ يَكونوا يَسْعَوْنَ إِلَّا إلى مُساعَدَتِها . فقالَتْ لَهُمْ :

«لا تَطْلُبوا شَيْئًا مِنْ غَريبٍ ، أَيًّا كانَتِ الأَسْبابُ ! عَلى أَنّي سَأَكْتُبُ لِلسَّيِّدِ العَجوزِ أَشْكُرُهُ عَلى لُطْفِهِ .»



# ميلادُ بابي

كانَتْ أَعْيادُ ميلادِ الأَوْلادِ مُناسباتٍ مُمَيَّزَةً دائِمًا. ومَعَ أَنَّ المالَ لِشِراءِ الهَدايا لَمْ يَكُنِ الآنَ مُتوافِرًا، فإنَّ الأُمَّ و بيتر وفيلِس لَمْ يَنْسَوْا عيدَ ميلادِ بابي الثّانِيَ عَشَرَ.

وكانَتْ مُفاجَأَةٌ كُبْرى! فقَدْ كانَ وَجْهُ الطّاوِلَةِ مُزَيَّنًا بِأَزْهارٍ تُمَثِّلُ مُخَطَّطًا لِمَحَطَّةِ القِطاراتِ.

قالَ بيتَر: «أُنْظُري! أَزْهارُ اللَّيْلَكِ هٰذِهِ تُمَثِّلُ خَطَّيِ السِّكَّةِ الحَديدِ! أَمّا المَحَطَّةُ فَمَرْسومَةٌ بِأَزْهارِ المَنْثورِ. والقِطارُ يُمَثِّلُهُ زَهْرُ الزَّنْبَقِ. أَمّا زَهَراتُ الأُقْحِوانِ الثَّلاثُ هٰذِهِ فَهِيَ نَحْنُ، وقَدْ وَقَفْنا نُلَوِّحُ لِصَديقِنا العَجوزِ. أَمّا العَجوزُ فَهُوَ هٰذِهِ البَنَفْسَجَةُ العالِقَةُ في قِطارِ الزَّنْبَقِ!»

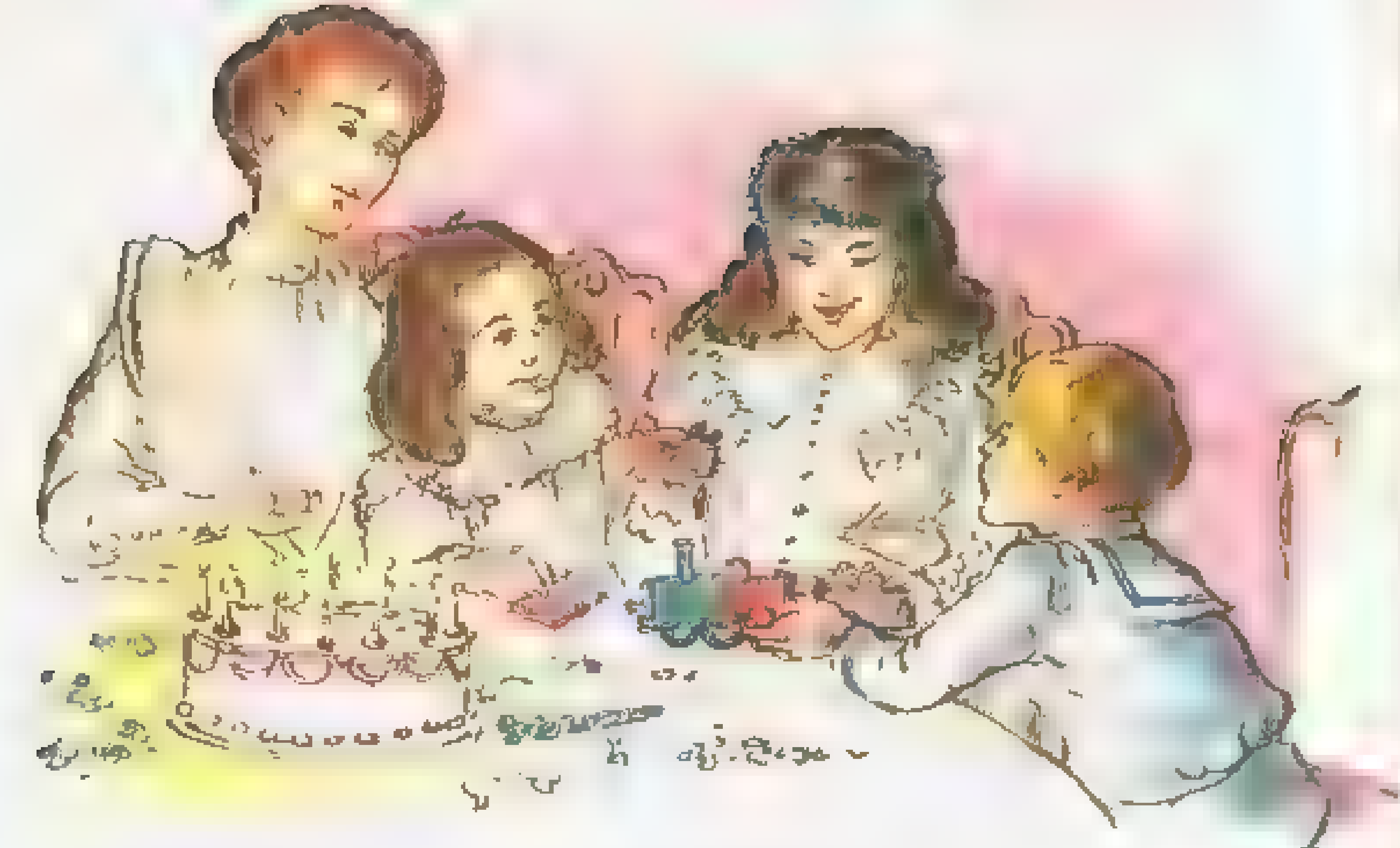
وكانَتِ الأُمُّ قَدْ نَظَمَتْ أُغْنِيَةً لِعيدِ ميلادِ ابْنَتِها. تَقولُ كَلِماتُ الأُغْنِيَةِ.

عيدُ ميلادِكِ عِنْدي    زيـنَـةُ الأَعْيـادْ
يَمْلأُ البَيْتَ رَجـاءً    فَـرَحُ الأَوْلادْ

* * *

إِنَّ في صَوْتِكِ سِحْرًا    وعَلى الخَـدِّ زَهَرْ
فَمْلإي قَلْبي غِنـاءً    وامْلإي عَيْني صُوَرْ





قَدَّمَتْ فيلِس لِأُخْتِها مِحْفَظَةَ خيطانٍ وإِبَرٍ صَنَعَتْها بِنَفْسِها. وقَدَّمَتِ الأُمُّ دَبّوسَ فِضَّةٍ عَلى شَكْلِ زَهْرَةِ الحَوْذانِ. وأَعارَ بيتر أُخْتَهُ القِطارَ اللُّعْبَةَ بَعْدَ أَنْ مَلأَ المَقْطورَةَ بِقِطَعِ الحَلْوى.

وزُيِّنَ قالِبُ حَلْوى العيدِ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ شَمْعَةً، ورُسِمَ عَلَيْهِ اسْمُ صاحِبَةِ العيدِ بِأَحْرُفٍ أُرْجُوانِيَّةٍ. ولَعِبَ الجَميعُ وبَدا عَلَيْهِمِ البِشْرُ.

قالَتْ بابي: «أَرْجوكِ، لا تَسْهَري كَثيرًا هٰذِهِ اللَّيْلَةَ، يا أُمّي.»

«لا، سأَكْتُبُ رِسالَةً إِلى أَبيكِ وأَنامُ.»

لٰكِنْ، في ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، تَسَلَّلَتْ بابي لِتَأْتِيَ بِهَداياها، فَوَجَدَتْ أُمَّها لا تَزالُ جالِسَةً إِلى الطّاوِلَةِ، وقَدْ وَضَعَتْ رَأْسَها بَيْنَ يَدَيْها. أَدْرَكَتْ بابي أَنَّ أُمَّها لا تُريدُ أَنْ يَعْرِفَ أَوْلادُها أَنَّها حَزينَةٌ، فانْسَحَبَتْ بِهُدوءٍ عائِدَةً إِلى غُرْفَةِ النَّوْمِ. وكانَتْ تِلْكَ خاتِمَةً مُحْزِنَةً لِحَفْلَةِ عيدِ ميلادٍ.



## أَسْرى ومُحْتَجَزون

ذاتَ يَوْمٍ اسْتَقَلَّتِ الأُمُّ القِطارَ إلى بَلْدَةٍ قَريبَةٍ لِتَضَعَ رَسائِلَها في البَريدِ. وذَهَبَ الأَوْلادُ لِمُلاقاتِها في المَحَطَّةِ ، قَبْلَ وُصولِ قِطارِها بِساعَةٍ ، وراحوا يَلْعَبونَ في قاعَةِ الانْتِظارِ.

وَصَلَ قِطارٌ ، فأَسْرَعَ الأَوْلادُ يَبْحَثونَ عَنْ صَديقِهِمِ السّائِقِ. لٰكِنْ شَغَلَهُمْ عَنْ ذٰلِكَ جَمْعٌ مِنَ النّاسِ يُحيطونَ بِرَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ مَريضٍ.

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَفْهَمُ لُغَةَ ذٰلِكَ الأَجْنَبِيِّ ، فلا هِيَ الفَرَنْسِيَّةُ ولا الإيطالِيَّةُ ولا الأَلْمانِيَّةُ. كانَ لِلغَريبِ شَعْرٌ طَويلٌ وعَيْنانِ قَلِقَتانِ ، وكانَ يَرْتَجِفُ. اِقْتَرَبَ بيتَر مِنْهُ وقالَ لَهُ بِالفَرَنْسِيَّةِ : «أَتَتَكَلَّمُ الفَرَنْسِيَّةَ؟» ولَمْ يَكُنْ بيتَر يَعْرِفُ مِنَ الفَرَنْسِيَّةِ غَيْرَ هٰذِهِ العِبارَةِ ، ويَنْطِقُ بِها نُطْقًا أَعْوَجَ مُضْحِكًا.



تَدَفَّقَ لِسانُ الرَّجُلِ بِسَيْلٍ مِنَ الكَلِماتِ ، عَرَفَ بيتَر أَنَّها فَرَنْسِيَّةٌ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ كَلِمَةً واحِدَةً مِنْها. كانَ الأَوْلادُ قَدْ أَخَذوا دُروسًا في الفَرَنْسِيَّةِ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّموا شَيْئًا ! أَمّا أُمُّهُمْ فَتَعْرِفُ الفَرَنْسِيَّةَ ، وقِطارُها يَصِلُ قَريبًا.

رَجَتْ بابي ناظِرَ المَحَطَّةِ أَلّا يُفْزِعَ الرَّجُلَ ، فعَيْناهُ ، كَما قالَتْ ، تُشْبِهانِ عَيْنَيْ أَرْنَبٍ وَقَعَ في فَخٍّ. قالَ ناظِرُ المَحَطَّةِ : «أَظُنُّ أَنَّ مِنَ الواجِبِ أَنْ نَسْتَدْعِيَ رِجالَ الشُّرْطَةِ.»

خَطَرَتْ لِبيتَر فِكْرَةٌ لامِعَةٌ ، فقَدْ أَرى الغَريبَ طَوابِعَ بَريدِيَّةً لِبُلْدانٍ مُخْتَلِفَةٍ. اِلْتَقَطَ الرَّجُلُ طابِعًا بَريدِيًّا روسِيًّا ورَفَعَهُ بِيَدِهِ. وفي هٰذِهِ اللَّحْظَةِ وَصَلَ قِطارُ الأُمِّ. تَحَدَّثَ الغَريبُ إلى الأُمِّ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ مُنْفَعِلٍ وبِكَلِماتٍ سَريعَةٍ. وقالَتِ الأُمُّ بَعْدَ ذٰلِكَ : «المَسْأَلَةُ بَسيطَةٌ. فهٰذا الرَّجُلُ روسِيٌّ ، وقَدْ فَقَدَ تَذْكِرَةَ سَفَرِهِ. إِنَّ لَهُ في بِلادِهِ شَأْنًا عَظيمًا ، فهُوَ كاتِبٌ شَهيرٌ. وقَدْ قَرَأْتُ ، أَنا نَفْسي ، عَدَدًا مِنْ كُتُبِهِ.»

تَعَلَّقَ الأَوْلادُ بِأُمِّهِمْ ورَجَوْها أَنْ تَسْمَحَ لِلرَّجُلِ بِالإِقامَةِ عِنْدَهُمْ رَيْثَما يَشْفى. فوافَقَتِ الأُمُّ. وفي البَيْتِ أَشْعَلَ الأَوْلادُ نارًا ، ثُمَّ ذَهَبَ بيتَر لاسْتِدْعاءِ الطَّبيبِ. وأَخْرَجَتِ الأُمُّ مِنْ صُنْدوقٍ بَعْضَ ثِيابِ زَوْجِها وأَعْطَتْها لِلرَّجُلِ. فخافَتْ بابي خَوْفًا شَديدًا ، وخَشِيَتْ أَنْ يَكونَ أَبوها قَدْ ماتَ.

ضَمَّتِ الأُمُّ ابْنَتَها إلى صَدْرِها ، وقالَتْ لَها : «أبوكِ بِخَيْرٍ . وسَيَعودُ يَوْمًا إِلَيْنا . لا تَخافي ، يا حَبيبَتي .»

حَدَّثَتْهُمُ الأُمُّ في ذٰلِكَ المَساءِ عَنِ السَّيِّدِ الرّوسِيِّ . قالَتْ إِنَّهُ كَتَبَ عَنِ الفُقَراءِ وعَنِ المَظالِمِ الَّتي يَتَعَرَّضونَ لَها . فكانَ أَنْ زَجَّتْهُ السُّلُطاتُ القَيْصَرِيَّةُ في السِّجْنِ ثُمَّ نَفَتْهُ إلى سيبيريا ، حَيْثُ تَعَرَّضَ لِأَلْوانٍ مِن سوءِ المُعامَلَةِ .

«كَيْفَ تَخَلَّصَ مِنْ مَنْفاهُ ؟»

«سُمِحَ لِلمَنْفِيّينَ والمُحْتَجَزينَ في أَيّامِ الحَرْبِ بِالانْضِمامِ إلى الجَيْشِ . وقَدْ تَمَكَّنَ هُوَ مِنَ الفِرارِ ، وسَمِعَ أَنَّ زَوْجَتَهُ وابْنَهُ سافَرا إلى إِنْكِلْتِرا ، فجاءَ يَبْحَثُ عَنْهُما . وقَدْ فَقَدَ تَذْكِرَتَهُ في الطَّريقِ ونَزَلَ في مَحَطَّتِنا ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ وَصَلَ إلى غايَتِهِ .»

«أَتَظُنّينَ أَنَّهُ سيَجِدُ أُسْرَتَهُ ؟»

أَجابَتِ الأُمُّ : «آمُلُ ذٰلِكَ . وأُصَلّي مِنْ أَجْلِهِ .» ثُمَّ قالَتْ ، بَعْدَ شَيْءٍ مِنَ الصَّمْتِ : «يا أَحِبّائي ، اُطْلُبوا مِنَ اللهِ أَنْ يَرْحَمَ الأَسْرى والمُحْتَجَزينَ كُلَّهُمْ .»

تَطَلَّعَتْ بابي في عَيْنَيْ أُمِّها ، وكَأَنَّها تُريدُ أَنْ تَسْأَلَ شَيْئًا ، فعادَتِ الأُمُّ تَقولُ : «نَعَمْ .. أَنْ يَرْحَمَ الأَسْرى والمُحْتَجَزينَ كُلَّهُمْ .»





## مُنْقِذو القِطار

سُرْعانَ ما تَحَسَّنَتْ صِحَّةُ الكاتِبِ الرّوسِيِّ بِحَيْثُ صارَ قادِرًا عَلى الخُروجِ إلى الحَديقَةِ . وكَتَبَتِ الأُمُّ رَسائِلَ إلى أَعْضاءٍ في البَرْلَمانِ وشَخْصِيّاتٍ خارِجَهُ ، مِمَّنْ يُمْكِنُ أَنْ يُساعِدوا في البَحْثِ عَنْ أُسْرَةِ الكاتِبِ . ولَمْ يَكُنِ الأَوْلادُ يَقْدِرونَ عَلى التَّخاطُبِ مَعَ الكاتِبِ ، لٰكِنَّهُمْ كانوا يُعَبِّرونَ لَهُ عَنْ صَداقَتِهِمْ بِالبَسَماتِ وباقاتِ الزَّهْرِ .

ذاتَ يَوْمٍ رَأَوْا أَنْ يَجْلُبوا لَهُ كَرَزًا بَرِّيًّا مِنْ شَجَراتِ الجُرُفِ الصَّخْرِيِّ المُشْرِفِ عَلى فُتْحَةِ النَّفَقِ . وعِنْدَما وَصَلوا إلى قِمَّةِ الجُرُفِ ، نَظَروا إلى أَسْفَلُ حَيْثُ تَمْتَدُّ السِّكَّةُ الحَديدُ .

كانَتِ الأَشْجارُ والجَنَباتُ تُغَطّي رَأْسَ الجُرْفِ الصَّخْرِيِّ. وكانَ يَصِلُ بَيْنَ أَعْلى الجُرْفِ وخَطِّ السِّكَّةِ الحَديدِ مَمَرٌّ ضَيِّقٌ ذو دَرَجاتٍ. كانَ الأَوْلادُ قَدْ وَصَلوا إلى مَكانٍ قَريبٍ مِنْ قِمَّةِ الجُرْفِ عِنْدَما سَمِعوا أَصْواتًا وتَوَقَّفوا يُنْصِتونَ.

جاءَهُمْ صَوْتُ خَشْخَشَةٍ وحَفيفٍ، غابَ هُنَيْهَةً ثُمَّ ما لَبِثَ أَنْ عادَ قَوِيًّا كالهَديرِ. وصاحَ بيتَر. «أُنْظُرا إلى تِلْكَ الشَّجَرَةِ!»





رَأَوْا شَجَرَةً ذاتَ أَزْهارٍ بَيْضاءَ، تَتَحَرَّكُ وتَهْتَزُّ وتَنْزَلِقُ مَعَ المُنْحَدَرِ. ثُمَّ بَدَتِ الأَشْجارُ كُلُّها تَنْزَلِقُ صَوْبَ السِّكَّةِ الحَديدِ.

صاحَتْ فيلِس مَذْعورَةً: «ما هٰذا؟ لِنَذْهَبْ إلى البَيْتِ!»

وقالَ بيتَر. «كَأَنَّما كُلُّ شَيْءٍ يَنْهارُ!» وما إنْ أَنْهى عِبارَتَهُ حَتّى بَدَأَتِ الصَّخْرَةُ الكَبيرَةُ فَوْقَ قِمَّةِ الجُرْفِ والَّتي تَنْمو عَلَيْها أَشْجارُ الكَرَزِ، تَميلُ صَوْبَ الوادي. ثُمَّ بَدا كَأَنَّ الأَشْجارَ المُهْتَزَّةَ قَدْ تَوَقَّفَتْ عَنِ الانْزِلاقِ. لكِنْ، فَجْأَةً انْهارَتِ الصَّخْرَةُ الكَبيرَةُ والأَشْجارُ والأَعْشابُ والجَنَباتُ. ووَقَعَتْ كُلُّها فَوْقَ الجُرْفِ الصَّخْرِيِّ واسْتَقَرَّتْ فَوْقَ خَطِّ السِّكَّةِ الحَديدِ ونَجَمَ عَنْ سُقوطِها صَوْتٌ هائِلٌ تَرَدَّدَ صَداهُ بَعيدًا، وارْتَفَعَتْ سَحابَةٌ مِنْ غُبارٍ.

قالَتْ فيلِس: «سَدَّ الانْهِيارُ خَطَّ السِّكَّةِ الحَديدِ!»

وقالَ بيتَر: «قِطارُ الحادِيَةَ عَشْرَةَ يوشِكُ عَلى الوُصولِ! عَلَيْنا أَنْ نُعْلِمَ المَحَطَّةَ، وإلّا وَقَعَ حادِثٌ رَهيبٌ!»

قالَتْ بابي: «لا يَتَّسِعُ الوَقْتُ لِذلِكَ ماذا نَفْعَلُ؟ نُلَوِّحُ بِراياتٍ حَمْراءَ!» كانَتْ بابي تَلْبَسُ رِداءً أَحْمَرَ اللَّوْنِ قُطْنِيًّا، فَخَلَعَتْهُ ومَزَّقَتْهُ إلى سِتَّةِ أَجْزاءٍ. وكانَ بيتَر قَدْ أَعَدَّ سِتَّ عِصِيٍّ، وسُرْعانَ ما كانَ لَدَيْهِمْ سِتُّ راياتٍ. ووَقَفَ الأَوْلادُ مُسْتَعِدّينَ. وقَدْ حَمَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ رايَتَيْنِ، في انْتِظارِ مُرورِ القِطارِ.

خَشِيَتْ بابي أَلّا يُلاحِظَ أَحَدٌ تِلْكَ الرّاياتِ الصَّغيرَةَ ، فَيموتَ رُكّابُ القِطارِ كُلُّهُمْ. وسُرْعانَ ما سَمِعوا هَديرَ القِطارِ وزَمْجَرَتَهُ ، ورَأَوْا دُخانَهُ الأَبْيَضَ يَعْلو في الفَضاءِ.

هَتَفَ بيتَر: «لِنَقِفْ بِثَباتٍ ونُلَوِّحْ تَلْويحًا مَحْمومًا!»

قالَتْ بابي ، وَهْيَ تَرى القِطارَ يَقْتَرِبُ هادِرًا: «لا فائِدَةَ ، فَلَنْ يَرَوْنا!» ثُمَّ انْدَفَعَتْ راكِضَةً.

وصاحَ بيتَر صِياحَ مَجْنونٍ: «اِبْتَعِدي عَنِ السِّكَّةِ الحَديدِ.»

لكِنَّ بابي لَمْ تَبْتَعِدْ عَنِ السِّكَّةِ الحَديدِ ، وراحَتْ تَقْفِزُ وتُلَوِّحُ بِالرّايَتَيْنِ ، وتَصْرُخُ: «تَوَقَّفْ! تَوَقَّفْ! أَرْجوكَ ، تَوَقَّفْ!» وبَدَتْ مُقَدِّمَةُ القِطارِ سَوْداءَ مُرْعِبَةً ، وبَدا صَوْتُهُ أَجَشَّ هادِرًا. لكِنْ ، كَأَنَّما هُوَ قَدْ سَمِعَ صَرْخَةَ بابي ، فَقَدْ لُجِمَتْ سُرْعَتُهُ فَجْأَةً ثُمَّ جَمَدَ في مَكانِهِ. أَسْرَعَ بيتَر لِمُلاقاةِ سائِقِ القِطارِ ، بَيْنَما كانَتْ بابي لا تَزالُ تَقْفِزُ وتَصْرُخُ وتُلَوِّحُ بِالرّايَتَيْنِ. وفَجْأَةً وَقَعَتْ أَرْضًا.

قالَ سائِقُ القِطارِ: «أُغْمِيَ على الطِّفْلَةِ المِسْكينَةِ!» حُمِلَتْ بابي إلى مَحَطَّةِ القِطارِ وعِنْدَما أَفاقَتْ مِنْ إِغْمائِها أَجْهَشَتْ بِالبُكاءِ.

اُسْتُقْبِلَ الأَوْلادُ في المَحَطَّةِ اسْتِقْبالَ الأَبْطالِ. لكِنْ بابي كانَتْ مُتْعَبَةً ، تُريدُ العَوْدَةَ إلى البَيْتِ.



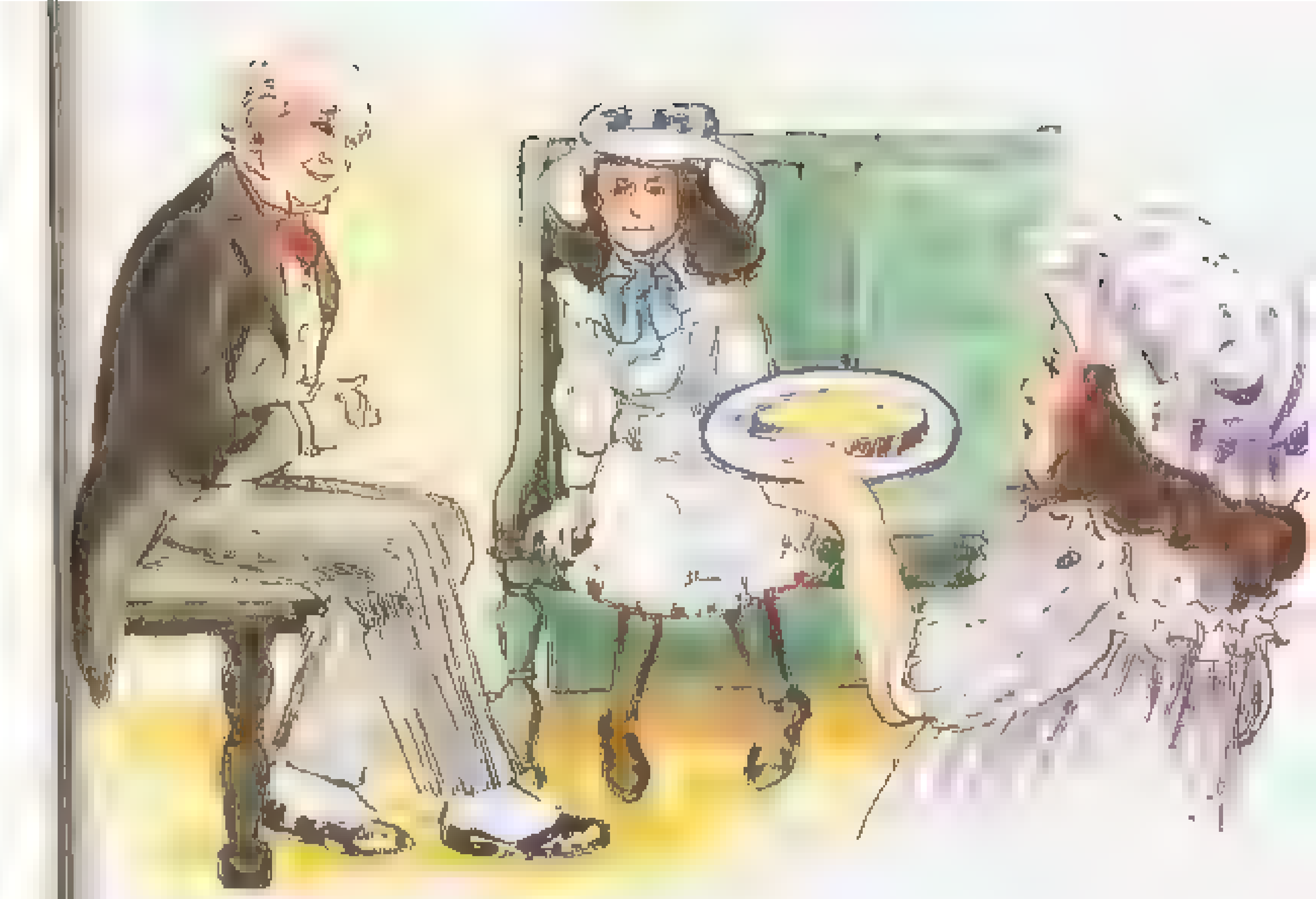
وفي طَريقِهِمْ إلى البَيْتِ قالَ بيتَر بِنَبْرَةِ اعْتِزازٍ: «نَحْنُ أَنْقَذْنا القِطارَ!»

أَجابَتْ بابي باسِمَةً: «ولكِنّا لَمْ نَجْمَعْ ثِمارَ الكَرَزِ البَرِّيِّ!» وظَنَّها أَخوها وأُخْتُها أَنَّها فِعْلًا آسِفَةٌ على ثِمارِ الكَرَزِ البَرِّيِّ!



## تَقْديرًا لِلشَّجاعَةِ

يَتَحَدَّثُ هذا الكِتابُ كَثيرًا عَنْ بابي. ولَعَلَّ السَّبَبَ في ذلِكَ مَزاياها المُحَبَّبَةُ. فَقَدْ كانَتْ تَسْعى دائِمًا لإِسْعادِ الآخَرينَ. وكانَتْ تَحْفَظُ السِّرَّ. فَلَمْ تُفْصِحْ قَطُّ عَنِ الحَيْرَةِ الَّتي كانَتْ تُحِسُّ بِها أَمامَ حُزْنِ أُمِّها الخَفِيِّ. ولَمْ يَكُنْ كِتْمانُها ذاكَ شَيْئًا هَيِّنًا.



كانَتْ بابي كَذٰلِكَ تَسْعى إلى مُساعَدَةِ النّاسِ. أَرادَتْ أَنْ تُساعِدَ الكاتِبَ الرّوسِيَّ لِيَعْثُرَ عَلى زَوْجَتِهِ وابْنِهِ. فَقَرَّرَتْ أَنْ تَطْلُبَ العَوْنَ مِنَ السَّيِّدِ العَجوزِ. وذاتَ يَوْمٍ سَنَحَتِ الفُرْصَةُ.

قَرَّرَتْ إدارَةُ السِّكَّةِ الحَديدِ تَقْديمَ ثَلاثِ ساعاتٍ ذَهَبِيَّةٍ لِلأَوْلادِ، تَقْديرًا لِشَجاعَتِهِمْ في إنْقاذِ القِطارِ. أُقيمَ حَفْلٌ مُتَواضِعٌ في مَحَطَّةِ القِطارِ، أَلْقى فيهِ بيتَر كَلِمَةً مُخْتَصَرَةً، وقالَ. «لَمْ نَفْعَلْ شَيْئًا يُذْكَرُ، أَوْ عَلى الأَقَلِّ، إنَّ ما قُمْنا بِهِ مَلَأَ قُلوبَنا حَماسَةً وغِبْطَةً. شُكْرًا لَكُمْ جَميعًا!»



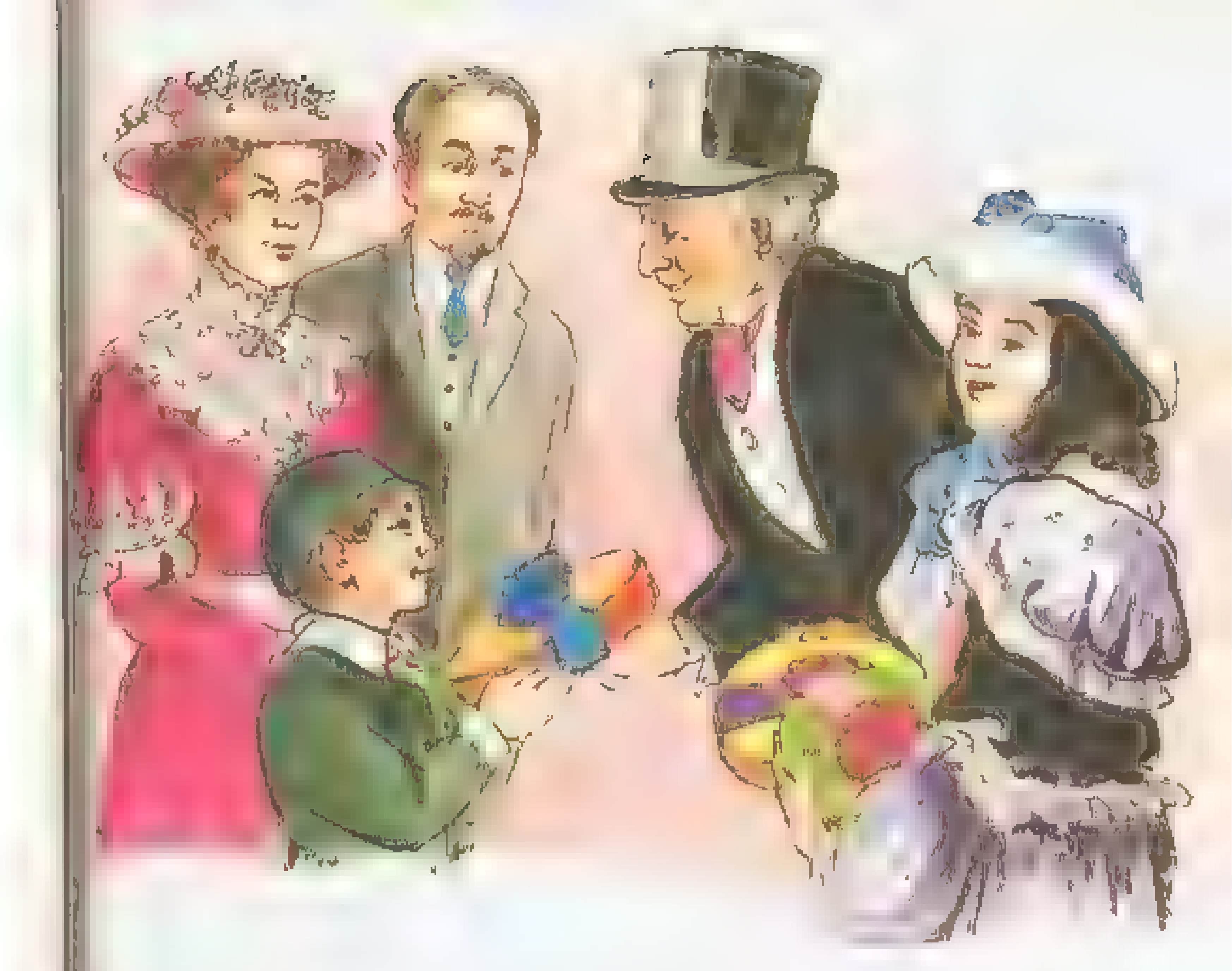
وكانَ السَّيِّدُ العَجوزُ حاضِرًا، فَحَدَّثَتْهُ بابي عَلى انْفِرادٍ. ورَوَتْ لَهُ قِصَّةَ الكاتِبِ الرّوسِيِّ. أَجابَ العَجوزُ إنَّهُ سَمِعَ بِالكاتِبِ وقَرَأَ آخِرَ كُتُبِهِ، وقالَ:

«إنَّهُ كِتابٌ رائِعٌ! إنَّ أُمَّكِ الَّتي اعْتَنَتْ بِهٰذا الكاتِبِ في أَثْناءِ مَرَضِهِ سَيِّدَةٌ فاضِلَةٌ نَبيلَةٌ.»

ثُمَّ سَأَلَ الأَوْلادَ عَنْ أَسْمائِهِمْ وطَرَحَ عَلَيْهِمْ أَسْئِلَةً أُخرى. وكانَتْ فيلِس قَدْ وَصَلَتْ حامِلَةً في يَدِها كوبَ عَصيرٍ وقِطْعَةً مِنَ الكَعْكِ. لٰكِنَّها كانَتْ حَذِرَةً في تَحَرُّكاتِها، خَشْيَةَ تَعَثُّرِها بِرِباطِ حِذائِها.

بَعْدَ عَشَرَةِ أَيّامٍ، وَصَلَ السَّيِّدُ العَجوزُ والْتَقى الأَوْلادَ يَلْعَبونَ في الحُقولِ. فَقالَ لَهُمْ. «عِنْدي أَخْبارٌ مُفْرِحَةٌ! وَجَدْتُ زَوْجَةَ الكاتِبِ وطِفْلَهُ. وقَدْ جِئْتُ أُخْبِرُهُ ذٰلِكَ!»

رَكَضَتْ بابي عَبْرَ الحُقولِ لِتَكونَ أَوَّلَ مَنْ يَنْقُلُ البُشْرى. أَشْرَقَ وَجْهُ الأُمِّ حينَ سَمِعَتِ النَّبَأَ، وأَسْرَعَتْ تَتَحَدَّثُ إلى الكاتِبِ بِالرّوسِيَّةِ. قَفَزَ الكاتِبُ مِنْ كُرْسِيِّهِ وهُوَ يَصيحُ صَيْحَةَ فَرَحٍ، وانْحَنى يُقَبِّلُ يَدَ الأُمِّ مُمْتَنًّا. ثُمَّ غَرِقَ في كُرْسِيِّهِ، وغَطّى وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ، وأَجْهَشَ بِبُكاءٍ خافِتٍ.



تَسَلَّلَتْ بابي خارِجَةً مِنَ الغُرْفَةِ. فإنَّها لَمْ تَكُنْ تُريدُ أَنْ تَتَفَرَّجَ على رَجُلٍ يَبْكي. وعِنْدَما عادَتْ، قَدَّمَ السَّيِّدُ العَجوزُ لِكُلٍّ مِنَ الأَوْلادِ الثَّلاثَةِ عُلْبَةً كَبيرَةً مِنَ الشّوكولاتَةِ. ثُمَّ جَمَعَ الكاتِبُ أَمْتِعَتَهُ القَليلَةَ، وتَوَجَّهَ إلى مَحَطَّةِ القِطارِ، يُرافِقُهُ أَفْرادُ الأُسْرَةِ كُلُّهُمْ.

بَدَتِ الأُمُّ، في طَريقِ العَوْدَةِ إلى البَيْتِ، حَزينَةً مُتْعَبَةً. وذَكَرَتْ فيلس أَنَّ طِفْلَ الكاتِبِ، لا بُدَّ قَدْ كَبِرَ مُنْذُ رَآهُ أَبوهُ آخِرَ مَرَّةٍ. وقالَتْ: «تُرى هَلْ يَجولُ في خاطِرِ أَبي أَنّي كَبِرْتُ؟»

أَسْرَعَتْ بابي تَقولُ: «تَعالَيْ نَتَسابَقُ، يا أُخْتي!»



تَعْرِفُ، أَيُّها القارِئُ العَزيزُ، لِمَ فَعَلَتْ بابي ذٰلِكَ. حَسِبَتِ الأُمُّ أَنَّ بابي قَدْ ضَجِرَتْ مِنَ السَّيْرِ البَطيءِ. حَتّى الأُمَّهاتُ، وحُبُّهُنَّ أَسْمى مِنْ كُلِّ حُبٍّ، لا يُدْرِكْنَ دائِمًا حَقيقَةَ ما يَشْعُرُ بِهِ الأَوْلادُ.

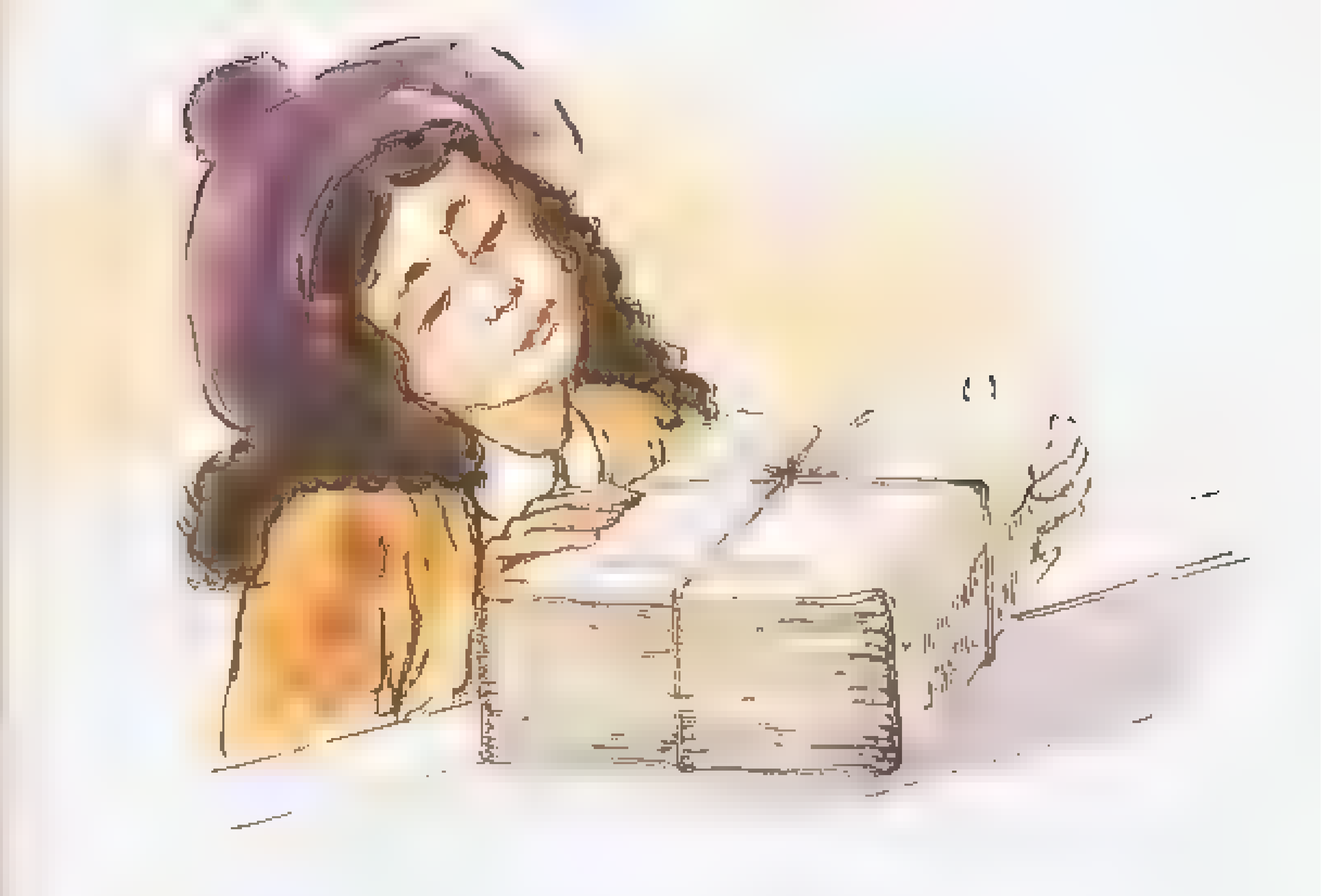
## السِّرُّ المُريعُ

ذاتَ يَوْمٍ، حَمَلَتْ بابي إلى أُمِّها، وكانَتْ تَكْتُبُ إِحْدى قِصَصِها، فِنْجانًا مِنَ الشّاي. الْتَفَتَتِ الأُمُّ إلى ابْنَتِها وقالَتْ: «يا ابْنَتي، أَنْتُمْ لَمْ تَنْسَوْا أَباكُمْ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟ إِنّي لا أَراكُمْ تَتَحَدَّثونَ عَنْهُ أَبَدًا!»

«بَلْ نَتَحَدَّثُ عَنْهُ، يا أُمّي. لٰكِنَّنا لا نَفْعَلُ ذٰلِكَ أَمامَكِ. فَقَدْ لاحَظْنا أَنَّ تَذْكيرَكِ بِهِ يُحْزِنُكِ.»

أَجابَتِ الأُمُّ، وَهْيَ تَضُمُّ ابْنَتَها: «لا، يا حَبيبَتي. سأَقولُ لَكِ. واجَهْنا، أَنا وأَبوكِ، مُشْكِلَةً خَطيرَةً مُؤْلِمَةً جِدًّا - أَشَدَّ خَطَرًا وإِيلامًا مِمّا يُمْكِنُ أَنْ تَتَخَيَّلوا - لٰكِنَّ الأَمْرَ سَيَكونُ أَشَدَّ سوءًا إذا قُدِّرَ لَكُمْ، لا سَمَحَ اللهُ، أَنْ تَنْسَوْا أَباكُمْ!»

قالَتْ بابي بِصَوْتٍ خافِتٍ مُرْتَبِكٍ: «كُنْتُ وَعَدْتُكِ، يا أُمّي، أَلّا أَطْرَحَ أَسْئِلَةً. لٰكِنْ أَلَيْسَ لِهٰذِهِ المُشْكِلَةِ مِنْ نِهايَةٍ؟»



قالَتِ الأُمُّ: «بَلْ سَتَنْتَهي، يا حَبيبَتي، بِعَوْدَةِ أَبيكِ إلى البَيْتِ. والآنَ، عَلَيَّ أَنْ أَعودَ إلى عَمَلي.» ثُمَّ ضَمَّتِ ابْنَتَها ضَمَّةً شَديدَةً، قائِلَةً: «لا تَذْكُري شَيْئًا مِنْ ذلِكَ لِأُخْتِكِ وأَخيكِ.»

كانَ الأَوْلادُ في اليَوْمِ التّالي يُعَشِّبونَ الحَديقَةَ وحَدَثَ أَنْ وَقَعَ بيتر على مُشْطِ التَّعْشيبِ وجَرَحَ قَدَمَهُ وكانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقيمَ في البَيْتِ إلى أَنْ يَشْفى ذَهَبَتْ بابي إلى ناظِرِ المَحَطَّةِ، وسَأَلَتْهُ أَنْ يَسْمَحَ لَها بِأَخْذِ بَعْضِ المَجَلّاتِ والجَرائِدِ الَّتي يَتْرُكُها الرُّكّابُ لِيَتَسَلّى أَخوها بِقِراءَتِها والتَّفَرُّجِ عَلَيْها. أَعَدَّ النّاظِرُ عَدَدًا مِنَ المَجَلّاتِ والجَرائِدِ ولَفَّها كُلَّها بِجَريدَةٍ قَديمَةٍ، وأَعْطاها لِبابي.

اِتَّفَقَ أَنَّ قِطارًا كانَ يَقْتَرِبُ، فَوَقَفَتْ بابي تَنْتَظِرُ مُرورَهُ. فَجْأَةً



تَعَلَّقَتْ عَيْناها بِعُنْوانٍ في الجَريدَةِ وتَراءى لَها أَنَّها في كابوسٍ مُريعٍ. قَرَأَتْ ما كانَ مَكْتوبًا، لكِنَّ آخِرَ الخَبَرِ كانَ مُمَزَّقًا. ولَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ وَصَلَتِ البَيْتَ. دَخَلَتْ غُرْفَتَها، وأَقْفَلَتِ البابَ وَراءَها، وأَعادَتْ قِراءَةَ الخَبَرِ. كانَ وَجْهُها يَلْتَهِبُ، لكِنَّ يَدَيْها كانَتا بارِدَتَيْنِ كالجَليدِ.

تَمْتَمَتْ: «الآنَ عَرَفْتُ!»

كانَ الخَبَرُ يَتَحَدَّثُ عَنْ صُدورِ الحُكْمِ في إِحْدى القَضايا، وإِدانَةِ المُتَّهَمِ، والحُكْمِ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ خَمْسَ سَنَواتٍ، مَعَ الأَشْغالِ الشّاقَّةِ.

هَمَسَتْ بِحُرْقَةٍ: «آهِ يا أَبي! غَيْرُ صَحيحٍ! لا أُصَدِّقُ ذلِكَ! أَنْتَ لا تَفْعَلُ ذلِكَ أَبَدًا! أَبَدًا، أَبَدًا، أَبَدًا!»

بَعْدَ حينٍ سَمِعَتْ طَرْقًا عَلى بابِ غُرْفَتِها، وجاءَ صَوْتُ فيليس قائِلًا: «تَعالَيْ، العَشاءُ جاهِزٌ!»

سَعَتْ بابي جاهِدَةً، في أَثْناءِ العَشاءِ، أَلّا تَنْفَجِرَ باكِيَةً. وادَّعَتْ أَنَّ عِنْدَها صُداعًا. ثُمَّ صَعِدَتْ بَعْدَ العَشاءِ إلى غُرْفَةِ أُمِّها

لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ كَيْفَ تَبْدَأُ كَلامَها. فَأَجْهَشَتْ بِالبُكاءِ مُرَدِّدَةً اسْمَ أُمِّها، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. ضَمَّتْها أُمُّها إلى صَدْرِها. وانْتَظَرَتْ أَخيرًا أَخْرَجَتِ الفَتاةُ قُصاصَةَ الجَريدَةِ وأَشارَتْ بِإِصْبَعِها إلى اسْمِ أَبيها.

شَهَقَتِ الأُمُّ قائِلَةً : «آهِ يا ابْنَتي ! أَنْتِ لا تُصَدِّقينَ أَنَّ أَباكِ فَعَلَ ذَلِكَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟» هَتَفَتْ بابي بِما يُشْبِهُ الصِّياحَ : «لا !»

وعادَتِ الأُمُّ تَقولُ : «نَعَمْ ، ذاكَ غَيْرُ صَحيحٍ. رَمَوْهُ في السِّجْنِ ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُذْنِبٍ .»

«لِمَ لَمْ تُخْبِريني؟»

«أَسَتُخْبِرينَ أُخْتَكِ وأَخاكِ؟»

«لا !»

«لِماذا؟»

«لِأَنَّ ...» لَكِنَّ بابي تَوَقَّفَتْ عَنْ إِبْداءِ السَّبَبِ ، بَعْدَ أَنْ فَهِمَتْ ما رَمَتْ إِلَيْهِ أُمُّها.

قالَتِ الأُمُّ عِنْدَئِذٍ : «تَمامًا. فَهِمْتِ الآنَ لِمَ لَمْ أُخْبِرْكِ. عَلَيْنا ، أَنْتِ وأَنا ، أَنْ نَتَعاوَنَ لِنُحافِظَ عَلى شَجاعَتِنا .»

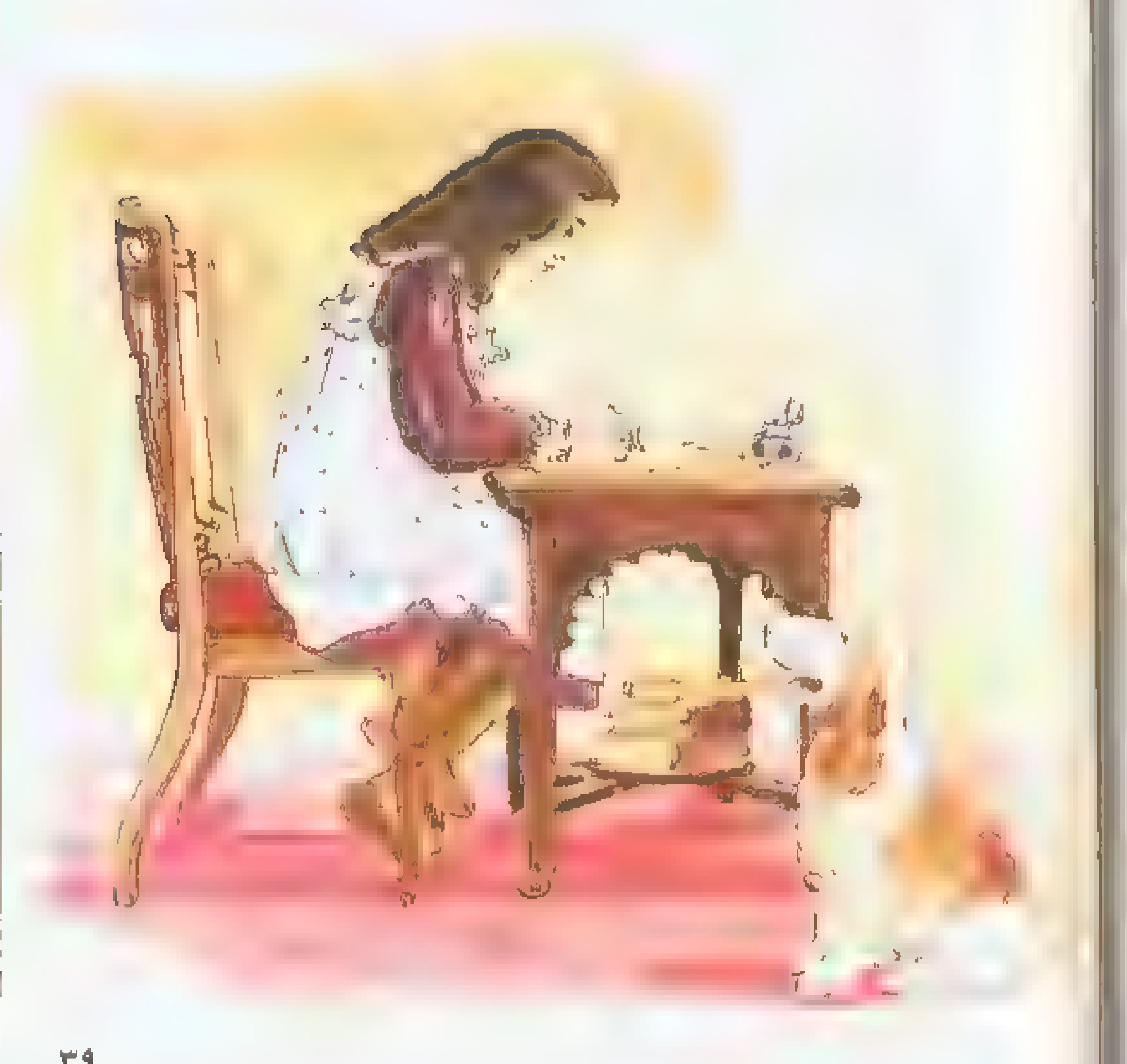
ثُمَّ قالَتْ لَها : «إِنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ جاءا ذاتَ لَيْلَةٍ يَطْلُبانِ أَباكِ كانا قَدْ جاءا لاعْتِقالِهِ. فَقَدْ وُجِدَتْ في حَوْزَتِهِ أَوْراقٌ تَدينُهُ بِتُهْمَةِ بَيْعِ أَسْرارٍ وَطَنِيَّةٍ لِدَوْلَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ. لَمْ يَكُنْ أَبوكِ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ تِلْكَ الأَوْراقِ ، وارْتابَ في أَنَّ مُساعِدًا حاسِدًا مِنْ مُساعِديهِ قَدْ دَسَّ تِلْكَ الأَوْراقَ في جَيْبِهِ طَمَعًا بِوَظيفَتِهِ. لَكِنَّهُ كانَ يَفْتَقِرُ إِلى الدَّليلِ .»

«أَلا نَسْتَطيعُ أَنْ نَشْرَحَ هَذا الأَمْرَ لِلْمَسْؤولينَ؟»



أَجابَتِ الأُمُّ : «لَنْ يُنْصِتَ إِلَيْنا أَحَدٌ. حاوَلْتُ كَثيرًا. لَيْسَ لَنا الآنَ ، يا حَبيبَتي ، إِلّا الشَّجاعَةُ والصَّبْرُ والصَّلاةُ .»

بَعْدَ أُسْبوعٍ كَتَبَتْ بابي رِسالَةً إِلى صَديقِها العَجوزِ تُخْبِرُهُ كُلَّ شَيْءٍ. أَرْسَلَتْ لَهُ أَيْضًا قُصاصَةَ الجَريدَةِ. وقالَتْ : «فَكِّرْ كَيْفَ يَكونُ شُعورُكَ ، لَوْ كانَ المَسْجونُ أَباكَ. أَرْجوكَ. أَرْجوكَ ساعِدْني ! سَأَظَلُّ دائِمًا صَديقَتَكَ الصَّغيرَةَ المُخْلِصَةَ المُحِبَّةَ .»



# ذو الجَرْسَةِ الحَمْراء

كانَ بَعْضُ طُلّابِ المَدْرَسَةِ المُتَوَسِّطَةِ قَدِ اتَّفَقوا أَنْ يَخْرُجوا ، في اليَوْمِ التّالي ، إلى البَرِّيَّةِ لِيَلْعَبوا لُعْبَةَ الطَّريدَةِ وكِلابِ الصَّيْدِ . وأَرادَ الأَوْلادُ الثَّلاثَةُ أَنْ يَتَفَرَّجوا عَلى اللُّعْبَةِ فَصَعِدوا إلى قِمَّةِ الجُرْفِ الصَّخْرِيِّ ، حَيْثُ تُتاحُ لَهُمْ مُشاهَدَةُ رُقْعَةٍ واسِعَةٍ مِنَ البَرِّيَّةِ .





رَأى الأَوْلادُ مِنْ مَكانِهِمْ المُشْرِفِ الفَتى الَّذي يُمَثِّلُ الطَّريدَةَ يُقْبِلُ راكِضًا . وكانَ وَلَدًا قَوِيَّ الجِسْمِ كَسْتَنائِيَّ الشَّعْرِ ، يَحْمِلُ عَلى كَتِفِهِ مِحْفَظَةً مَمْلوءَةً بِقُصاصاتِ وَرَقٍ . وكانَ يَنْثُرُ في طَريقِهِ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ القُصاصاتِ ، لِيَتْرُكَ أَثَرًا يَقْتَفيهِ الأَوْلادُ الَّذينَ يُمَثِّلونَ كِلابَ الصَّيْدِ . وسُرْعانَ ما دَخَلَ فُتْحَةَ النَّفَقِ .

ثُمَّ وَصَلَ الفَتَيانِ المُطارِدونَ راكِضَيْنِ . وأَوْصَلَتْهُمْ قُصاصاتُ الوَرَقِ إلى النَّفَقِ فاخْتَفَوْا فيهِ . وكانَ آخِرُ الفِتْيانِ المُطارِدينَ يَلْبَسُ جَرْسَةً حَمْراءَ .

رَكَضَ الأَوْلادُ الثَّلاثَةُ عَبْرَ قِمَّةِ الجُرْفِ لِيُشاهِدوا الفِتْيانَ عِنْدَ خُروجِهِمْ مِنَ الجانِبِ الآخَرِ لِلنَّفَقِ . وبَعْدَ وَقْتٍ غَيْرِ قَصيرٍ ، أَطَلَّ الفَتى - الطَّريدَةُ يَدْفَعُ نَفْسَهُ لاهِثًا . ثُمَّ أَطَلَّ الفِتْيانُ المُطارِدونَ مُتْعَبينَ مُتَباعِدينَ ، لا يَتَحَرَّكونَ إلّا بِبُطْءٍ شَديدٍ .

قالَ بيتَر بَعْدَ حينٍ : «ذو الجَرْسَةِ الحَمْراءِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ النَّفَقِ . أَخافُ أَنْ يَكونَ قَدْ أَصابَهُ مَكْروهٌ . لِنَبْحَثْ عَنْهُ ، فالقِطارُ يَمُرُّ قَريبًا .»

اِنْطَلَقوا ناحِيَةَ النَّفَقِ . وكانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْشوا في مَمَرٍّ حَصْبائِيٍّ ضَيِّقٍ بَيْنَ خَطِّ السِّكَّةِ الحَديدِ البَرّاقِ وجِدارِ النَّفَقِ . وكانَ الجِدارُ المُخْضَرُّ يَقْطُرُ ماءً لَزِجًا وَسِخًا . بَدَتْ أَصْواتُ الأَوْلادِ جَوْفاءَ ، وراحَ الظَّلامُ يَشْتَدُّ في عُمْقِ النَّفَقِ . فأَشْعَلَ بيتَر شَمْعَةً كانَتْ في جَيْبِهِ .

ثُمَّ سَمِعوا طَنينًا يَأْتيهِمْ مِنْ جِهَةِ قُضْبانِ السِّكَّةِ الحَديدِ.

«هٰذا قِطارٌ!»

«أَيُّ اتِّجاهٍ؟»

قالَتْ فيلِس مَذْعورَةً: «أُريدُ أَنْ أَعودَ إِلى البَيْتِ!»

قالَتْ بابي: «لا تَكوني خَوّافَةً! أَنْتِ هُنا في أَمانٍ!» ودَفَعَ بيتر أُخْتَيْهِ إِلى تَجْويفٍ رَطْبٍ حالِكٍ في الجِدارِ. ثُمَّ أَقْبَلَ القِطارُ يَهْدُرُ هَديرًا مُرْعِبًا. وبَدَتْ عَيْناهُ التِّنّينِيَّتانِ الدّرِّيَّتانِ تَزْدادانِ، في كُلِّ لَحْظَةٍ، اتِّقادًا وسُطوعًا.

والآنَ، انْدَفَعَ القِطارُ يَمُرُّ بِمُحاذاتِهِمْ مُرورًا خاطِفًا، وأَحَسّوا بِهِ يَكادُ يُلامِسُهُمْ. اِصْطَخَبَ القِطارُ بِهَديرٍ مُريعٍ، وتَتابَعَتْ أَضْواءُ شَبابيكِهِ تَخْطِفُ الأَبْصارَ، وامْتَلأَ الجَوُّ الخانِقُ بِرائِحَةِ الدُّخانِ، وعَصَفَتْ هَبَّةٌ مِنَ الهَواءِ السّاخِنِ مَديدَةٌ طاغِيَةٌ، وتَرَدَّدَتْ أَصْداءُ رَنينٍ وطَنينٍ وقَرْقَعَةٍ وهَديرٍ بَيْنَ أَرْضِ النَّفَقِ المُرْتَجِفَةِ وسَقْفِهِ القَنْطَرِيِّ.

هَتَفَ الأَوْلادُ كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ خافِتٍ مَكْتومٍ: «آهِ!»

وقالَتْ فيلِس بِخَوْفٍ: «أَتُراهُ كانَ في طَريقِ القِطارِ؟»

قالَ بيتَر: «عَلَيْنا أَنْ نُتابِعَ طَريقَنا ونَرى.»

رَأَوْا، بَعْدَ نَحْوِ المِئَةِ مِتْرٍ، بَصيصًا مِنْ لَوْنٍ أَحْمَرَ. وهُناكَ وَجَدوا ذا الجَرْسَةِ الحَمْراءِ مُمَدَّدًا عَلى الأَرْضِ فَوْقَ الخَطِّ الآخَرِ لِلْقِطارِ.





صاحَتْ فيلِس في فَزَعٍ: «أَهُوَ مَيْتٌ؟»

أَجابَ بيتَر: «لا، إِنَّهُ مُغْمًى عَلَيْهِ فَقَطْ.» ثُمَّ أَسْرَعَ يَفْرُكُ يَدَيِ الفَتى. ورَشَّتْ فيلِس عَلى جَبْهَتِهِ حَليبًا مِنَ الزُّجاجَةِ الَّتي كانَتْ تَحْمِلُها لِلنُّزْهَةِ.

قالَتْ بابي: «أَرْجوكَ، اسْتَيْقِظْ، كَلِّمْني!» لَطالَما كانَتْ قَرَأَتْ هٰذِهِ الكَلِماتِ في الكُتُبِ، حَتّى حَفِظَتْها.

# ضَيْفٌ آخَرُ

أَخيرًا تَنَهَّدَ الفَتى ، وفَتَحَ عَيْنَيْهِ وقالَ بِصَوْتٍ خافِتٍ : «ماذا حَدَثَ؟»

«إِشْرَبْ!»

«ما هذا؟»

قالَ بِيتَر: «هذا حَليبٌ. لا تَخَفْ ، فأَنْتَ بَيْنَ أَصْدِقاءَ!»

قالَ الفَتى ، وَهْوَ يَئِنُّ: «أَظُنُّ أَنَّ ساقِي مَكْسورَةٌ. وَقَعْتُ على قَضيبِ السِّكَّةِ الحَديدِ. كَيْفَ وَصَلْتُمْ أَنْتُمْ إلى هُنا؟»

أَجابَ بِيتَر بِاعْتِزازٍ: «رَأَيْناكَ تَدْخُلُ النَّفَقَ ولَم نَرَكَ تَخْرُجُ مِنْهُ ، فَدَخَلْنا نَبْحَثُ عَنْكَ. نَحْنُ فَريقُ إِنْقاذٍ!»

قالَ الفَتى ، وَهْوَ يَعودُ إلى إِغْماضِ عَيْنَيْهِ: «أَنْتُم شُجْعانٌ!»

أَسْرَعَ بِيتَر وفيلِس يَطْلُبانِ النَّجْدَةَ ، بَيْنَما آثَرَتْ بابي البَقاءَ مَعَ الفَتى المُطارِدِ وبَدا لَها الوَقْتُ طَويلًا ، فأَمْسَكَتْ يَدَهُ لِيَطْمَئِنَّ ، وفَكَّتْ رِباطَ حِذائِهِ لِتُخَفِّفَ مِنْ أَذى وَرَمِ ساقِهِ. ثُمَّ جاءَتِ النَّجْدَةُ مِنْ مَزْرَعَةٍ قَريبَةٍ ، وحَمَلَ الرِّجالُ الفَتى إلى المَنْزِلِ العالي ، فَوْقَ التَّلَّةِ.

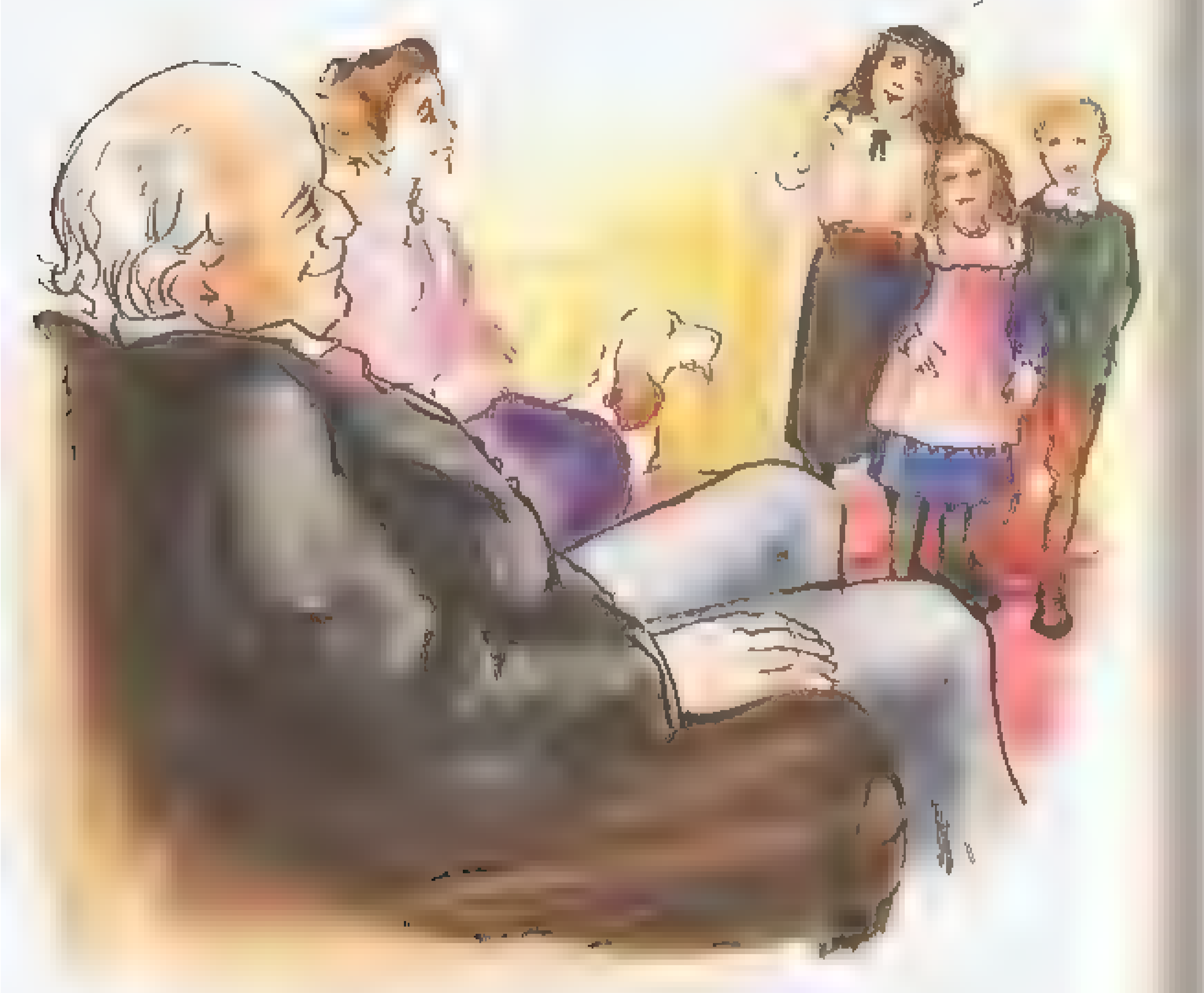
ظَنَّتِ الأُمُّ أَوَّلَ الأَمْرِ ، مِمّا سَمِعَتْ ، أَنَّ أَوْلادَها جاؤوا إلى المَنْزِلِ بِكَلْبٍ حَقيقِيٍّ ، ثُمَّ رَأَتْ أَنَّ الكَلْبَ لَمْ يَكُنْ إلّا فَتًى.



خاطَبَ بِيتَر أُمَّهُ بِصَوْتٍ كُلُّهُ رَجاءٌ قائِلًا: «هَلْ تَسْمَحينَ أَنْ يُقيمَ الفَتى مَعَنا إلى أَنْ تَتَحَسَّنَ ساقُهُ؟ نُحِبُّ أَنْ يَكونَ مَعَنا رَفيقٌ نَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ!»

أَجابَتِ الأُمُّ: «سَنَرى.» كانَ الفَتى يَتيمًا ، يَعيشُ مَعَ جَدِّهِ ، وكانَتِ المَدْرَسَةُ تُوشِكُ أَنْ تُقْفِلَ أَبْوابَها في فُرْصَةِ الأَعْيادِ. فَرَأَتِ الأُمُّ أَنْ تُحَدِّثَ الجَدَّ بِالأَمْرِ.

أَتَحْزِرُ مَنْ كانَ جَدُّ الفَتى؟



نَعَم ، كانَ السَّيِّدَ العَجوزَ نَفْسَهُ ، صَديقَ الأَوْلادِ ! رَأى العَجوزُ أَنَّ الأُمَّ لا تَسْتَطيعُ إعالَةَ الفَتى أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الَّذينَ قَدْ يَحْتاجونَ إلى عِنايَةٍ والَّذينَ تَتَطَوَّعُ الأُمُّ لِمُساعَدَتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ لَها خادِمَيْنِ يُساعِدانِها وكَمِّيّاتٍ كَبيرَةً مِنَ الطَّعامِ ، وعَيَّنَ لَها راتِبًا مُناسِبًا لِتَكونَ مَسْؤولَةً عَنْ مُسْتَوْصَفِ المَنْزِلِ العالي.

نَشَأَتْ صَداقَةٌ قَوِيَّةٌ بَيْنَ بيتَر والفَتى. ولَمْ يَنْسَ الفَتى عَطْفَ بابي عَلَيْهِ عِنْدَما كانَ مُلْقًى في نَفَقِ القِطارِ ، وامْتَدَحَ شَجاعَتَها. وجاءَ





السَّيِّدُ العَجوزُ لِرُؤْيَةِ حَفيدِهِ ، وتَكَلَّمَ مَعَ بابي حَوْلَ رِسالَتِها إلَيْهِ ، وقالَ :

«راجَعْتُ قَضِيَّةَ أَبيكِ في الصُّحُفِ ، فَنَشَأَ عِنْدي إحْساسٌ بِبَراءَتِهِ. وعِنْدَئِذٍ بَدَأْتُ بَعْضَ التَّحَرِّياتِ والمُراجَعاتِ. إنَّ لي آمالًا ! لٰكِنْ حافِظي عَلى سِرِّنا لِحينٍ ! لا تُقْلِقي أُمَّكِ بِآمالٍ قَدْ تَكونُ خادِعَةً.» وسَواءٌ أَكانَتِ الآمالُ خادِعَةً أَوْ غَيْرَ خادِعَةٍ فَقَدْ أَضاءَتْ وَجْهَ بابي الصَّغيرَ كَما تُضيءُ شَمْعَةٌ في قِنْديلٍ.

تَعَلَّمَ الفَتى لُعْبَةَ الشِّطْرَنْجِ ، وأَخَذَتْ ساقُهُ تَتَحَسَّنُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. كانَتِ الحَياةُ في المَنْزِلِ العالي هادِئَةً لَطيفَةً. لٰكِنَّها كانَتْ تَميلُ إلى شَيْءٍ مِنَ الرَّتابَةِ. فَقَدْ صارَ الأَوْلادُ يَقْضونَ مُعْظَمَ أَوْقاتِهِمْ في المَنْزِلِ ، وقَلَّتْ زِياراتُهُمْ لِمَحَطَّةِ القِطارِ. إنَّما لَمْ يَنْقَطِعوا أَبَدًا عَنِ التَّلْويحِ لِقِطارِ السّاعَةِ التّاسِعَةِ وتَحْميلِهِ حُبَّهُمْ لِوالِدِهِمِ الغائِبِ.

قالَتْ بابي حالِمَةً : «لَيْتَ الزَّمانَ يُسْعِدُنا بِبَعْضِ مُدْهِشاتِهِ !» وبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ تَحَقَّقَتِ الأُمْنِيَّةُ.

كانَ في المَنْزِلِ الآنَ خادِمانِ يَقومانِ بِالأَعْمالِ المَنْزِلِيَّةِ كُلِّها. وبَدا اليَوْمُ الَّذي وَصَلَ فيهِ الأَوْلادُ إلى هُناكَ وأَحْرَقوا قاعَ الإبْريقِ بَعيدًا جِدًّا. كانَ الشَّهْرُ آنَذاكَ شَهْرَ أَيْلولَ (سِبْتَمْبَر) . وكانَ العُشْبُ جافًّا قَصِفًا.



قالَ بِيتَر لِأُخْتِهِ: «عَجِّلا! وإلّا فاتَنا قِطارُ السّاعَةِ التّاسِعَةِ.»

وتَعَثَّرَتْ فيلِس، في أَثْناءِ رَكْضِهِمْ، بِرِباطِ حِذائِها. لَوَّحَ الأَوْلادُ بِمَناديلِهِمْ لِلقِطارِ العابِرِ وقَفَزوا وصاحوا: «بَلِّغْ حُبَّنا لِأَبينا!»

لَوَّحَ العَجوزُ بِجَريدَتِهِ، كَما كانَ يَفْعَلُ دائِمًا. لٰكِنْ، في ذٰلِكَ اليَوْمِ، راحَ كُلُّ مَنْ كانَ في القِطارِ يُلَوِّحونَ. فامْتَدَّتْ مِنَ الشَّبابيكِ أَيْدٍ ومَناديلُ وصُحُفٌ! مَرَّ القِطارُ بِمُحاذاةِ الأَوْلادِ مُرورَهُ الخاطِفَ. والْتَفَتَ الأَوْلادُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ. قالَ بِيتَر: «غَريبٌ!» وقالَتْ بابي: «عَجيبٌ!» وقالَتْ فيلِس: «غَريبٌ عَجيبٌ!»

بَدا لِلأَوْلادِ كَأَنَّ الحَياةَ دَبَّتْ فَجْأَةً في القِطارِ. وقالَتْ بابي: «كَأَنَّ السَّيِّدَ العَجوزَ أَرادَ أَنْ يَلْفِتَ انْتِباهَنا إلى الجَريدَةِ الَّتي كانَ يُلَوِّحُ بِها.»



سَأَلَ بِيتَر قائِلًا: «ولِمَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ؟»

«لا أَدْري، لٰكِنّي أُحِسُّ أَنَّ مُفاجَأَةً في انْتِظارِنا!»

وظَلَّ هٰذا الإِحْساسُ الغَريبُ يُراوِدُ بابي طيلَةَ الصَّباحِ، فعَزَمَتْ على أَنْ تَذْهَبَ إلى مَحَطَّةِ القِطارِ. في الطَّريقِ حَيّاها عَدَدٌ مِنَ القَرَوِيّينَ بِحَرارَةٍ. وضَمَّتْها مُوَظَّفَةُ البَريدِ العَجوزُ وقَبَّلَتْها قائِلَةً: «بارَكَكِ اللهُ، يا ابْنَتي!»

وقالَ لَها الحَدّادُ: «صَباحَ الخَيْرِ، يا آنِسَتي! وأَسْعَدَ اللهُ أَوْقاتَكِ!»

وشَدَّ ناظِرُ المَحَطَّةِ على يَدِها بِقُوَّةٍ، وقالَ: «قِطارُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ سَيَتَأَخَّرُ قَليلًا.» وحَتّى قِطُّ المَحَطَّةِ بَدا وكَأَنَّهُ يُبالِغُ ذٰلِكَ اليَوْمَ في التَّقَرُّبِ مِنْها والتَّمَسُّحِ بِساقِها.

وكانَتْ بابي تَتَساءَلُ عَنْ سِرِّ ذٰلِكَ التَّرْحابِ الَّذي تُقابَلُ بِهِ أَيْنَما تَوَجَّهَتْ. ثُمَّ خَرَجَ أَخيرًا عامِلُ المَحَطَّةِ يَحْمِلُ في يَدِهِ جَريدَةً، وقالَ: «يَحِقُّ لي واحِدَةٌ، يا آنِسَتي، في مِثْلِ هٰذا اليَوْمِ!» ثُمَّ انْحَنى وقَبَّلَ وَجْنَتَها.

سَأَلَتْ بابي في حَيْرَةٍ: «وما حِكايَةُ هٰذا اليَوْمِ؟» لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ تُتاحَ لِلعامِلِ فُرْصَةُ الإِجابَةِ، وَصَلَ قِطارُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ يَهْدُرُ ويَزْعَقُ ويَنْفُثُ دُخانًا.

لا شَكَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ ما كانَ سَيَحْدُثُ ، لٰكِنَّ بابي كانَتْ مُضْطَرِبَةً فَلَمْ تَحْزِرْ. بَدَتْ مُتَلَهِّفَةً ، مُرْتَبِكَةً ، ومُتَشَوِّقَةً لِمَعْرِفَةِ ما خَفِيَ عَنْها.

لَمْ يَنْزِلْ مِنْ قِطارِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ في تِلْكَ المَحَطَّةِ إلّا ثَلاثَةُ أَشْخاصٍ : زَوْجَةُ مُزارِعٍ تَحْمِلُ سَلَّةَ فِراخٍ ، وامْرَأَةٌ تَحْمِلُ بِضْعَ رِزَمٍ ، وشَخْصٌ ثالِثٌ – ؟

زَعَقَتْ بابي بِصَوْتٍ جارِحٍ : «أَبي ! أَبي !» اِخْتَرَقَ الصَّوْتُ أَفْئِدَةَ الرُّكّابِ كَالسِّكّينِ. أَخْرَجوا رُؤوسَهُمْ فَرَأَوْا رَجُلًا طَويلًا نَحيلًا شاحِبَ الوَجْهِ ، وقَدْ تَعَلَّقَتْ بِهِ فَتاةٌ صَغيرَةٌ ولَفَّتْ حَوْلَهُ ذِراعَيْها وساقَيْها ، وأَحاطَها هُوَ بِذِراعَيْهِ يَضُمُّها ضَمًّا شَديدًا.

في طَريقِهِما إلى البَيْتِ ، قالَ الأَبُ : «اِسْبِقيني إلى البَيْتِ ، يا بابي. وأَسِرّي لِأُمِّكِ أَنّي عُدْتُ ، وأَنَّ الأُمورَ عَلى ما يُرامُ. لَقَدْ أَمْسَكوا بِالفاعِلِ الحَقيقِيِّ. والنّاسُ كُلُّهُمْ يَعْرِفونَ الآنَ أَنَّ أَباكِ بَريءٌ.»

قالَتْ بابي : «كُنْتُ أَعْرِفُ دائِمًا أَنَّكَ بَريءٌ. وكَذٰلِكَ أُمّي والسَّيِّدُ العَجوزُ كانا يَعْرِفانِ !»

وهٰكَذا سَبَقَتْ بابي أَباها ، وأَخْبَرَتْ أُمَّها أَنَّ زَمانَ الحُزْنِ والخَوْفِ والفِراقِ قَدْ وَلّى ، فَقَدْ عادَ الأَبُ إلى بَيْتِهِ.



دَخَلَ الأَبُ وأَقْفَلَ البابَ وَراءَهُ. أَظُنُّ أَنَّ مِنَ اللّائِقِ الآنَ أَلّا نَدْخُلَ البَيْتَ ، وأَنْ نُسْرِعَ في الاِنْسِحابِ بِهُدوءٍ. وعِنْدَما نَصِلُ إلى طَرَفِ الحَقْلِ المَكْسُوِّ بِالعُشْبِ والأَزْهارِ البَرِّيَّةِ ، لا بَأْسَ أَنْ نَلْتَفِتَ إلى البَيْتِ الوادِعِ ، حَيْثُ لا مَكانَ الآنَ إلّا لِلأُسْرَةِ الَّتي اجْتَمَعَتْ بَعْدَ طولِ فِراقٍ.



تسعى مكتبة لبنان من خلال هذه السلسلة إلى تعريف الفتى العربيّ بروائع الأدب العالميّ، وإعداده للدخول، فيما بعد، في عالم القصص الخالدة من بابه الواسع. إنّنا نعتقد أنّ من حقّ أبنائنا أن يكوّنوا فكرة صحيحة شاملة عن نتاج القصص الذائعة الصيت في مختلف أصقاع الأرض.

على أنّنا نثق أنّ هذه القصص تصلح، بالشكل الذي نقدّمها فيه، للكبار أيضًا. لأنّنا حرصنا على ألّا ننتقص من جوهر الفكرة التي يقوم عليها العمل ومن بناء الشخصيّات كما أرادها المؤلّفون.

وحرصنا على المحافظة على عناوين الكتب الأصليّة وكذلك على أسماء العلَم والأماكن، كما وردت في الأصل، رغبةً في إعطاء صورة حقيقيّة عن الجوّ العامّ للقصص، من حيث المكان والأوضاع الاجتماعيّة والأحداث التاريخيّة، وخدمة للهدف الذي نسعى إليه وهو تمهيدُ الطريق للتعرّف إلى الأدب العالميّ. على أنّنا تجنّبنا الخوض في تفاصيل الأسماء التي لا تتعلّق مباشرة بصلب الموضوع ولا تؤثّر على سير الأحداث، وذلك لكي لا نربك القارئ العربيّ بأسماء ثانويّة الأهمّيّة، غريبة اللفظ قليلة التواتر.

وتمتاز هذه القصص كلّها بأنّها شديدة التشويق، وتقوم في غالبها على المغامرات المثيرة. وأكثر هذه القصص المختارة كتبت أصلًا لترضي جمهور الشباب، وهي من هذه الناحية ترضي مشاعرهم ومبادئهم وحبّهم للانطلاق واكتشاف المجهول.

إنّ هذه القصص جميعها، وإن تكن في غالبها تقوم على حبّ المغامرة، تتناول أصدق المشاعر الإنسانيّة، وتصوّر كفاح الإنسان لتحقيق مُثُله العليا دون أن يعبأ بالتضحيات.

وزُوّدت كتب السلسلة جميعها بمقدّمات تعرّف بالمؤلّف كما زوّدت برسوم ملوّنة رائعة تضفي جوًّا من السحر على أحداث القصص، وتصوّر الخلفيّات الاجتماعيّة والتاريخيّة أصدق تصوير.



نضد الحروف: مؤسسة حبيب درغام وأولاده، لبنان، عمل رقم ١٤٢١


في سِلسِلَة كُتُبِ المُطالَعةِ الآن أكثر مِن ٣٥٠ كتابًا تتناوَل ألوانًا مِن الموضوعات تناسِبُ مختَلِف الأعمار. اطلب البَيان الخاصّ بِها مِن: مكتبة لبنان - ساحة رياض الصّلح - بيروت.


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net